## المقدّمة

الحمد لله الذي جعل القرآن الكريم نوراً وهدىً ورحمةً، وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، دعا عباده إلى تدبّر كتابه بكلّ بصيرة وفكرة، وأشهد أن نبينا وسيدنا محمداً عبد الله ورسوله، بيَّن لأمّته ما أنزل إليه بوافر العلم والحكمة، ﷺ وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه واقتفى أثره .

وبعد: فتتمّة لِما عزمت أمري عليه وشرعت فيه من تتبُّع السور والآيات القرآنية التي ورد حديث النبيّ المصطفى ﷺ بذكر فضلها؛ رغبةً مني في إظهار عظمتها وبيان معانيها وأغراضها؛ كان هذا البحث في خواتيم سورة البقرة [١].

- هذا وقد جعلت عنوان البحث «خواتيم سورة البقرة؛ فضلها وبيانها»، وقسمته إلى فصلين: الفصل الأول: فضل خواتيم سورة البقرة. وفي هذا الفصل مبحثان: المبحث الأول: في مكان وزمان نزولها وإيتائها الرسول ﷺ . المبحث الثاني: في أجر قارئـــها وثوابه .

والفصل الثاني: بيان خواتيم سورة البقرة. وجعلت في هذا الفصل أربعة مباحث: المبحث الأول: سبب النّزول. المبحث الثاني: في المناسبة. المبحث الثالث: بيان الآية الأولى. المبحث الرابع: بيان الآية الثانية .

ومن بعد كانت خاتمة البحث.

وأخيراً أسأل الله عزّوجلّ أن يفيد من هذا العمل الفائدة المرجوّة وأن يتقبّله مني ويجعله ذخراً لي يوم مصيري إليه. آمين .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلِّ اللهم وسلِّم وبارك على نبينا وسيّدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

---

(١) وقد سبق هذا البحث بحثان في هذا الشأن وهما: الفضل والبيان لأعظم آية في القرآن (آية الكرسي)، وتأمّلات في سورة الواقعة.

# الفصل الأول:

# فضل خواتيم سورة البقرة

**تقديم:**

لخواتيم سورة البقرة فضل عظيم بيَّنه وأخبر عنه رسولنا محمد ﷺ من خلال أحاديثه الشريفة. ولقد رأيت فيها أنّ هذا الفضل دلّ عليه ما ورد منها في بيان مكان وزمان نـــزولها وفي كيفية إيتائـــها النبي ﷺ، ودلّ عليه أيضاً ما ورد منها في بيان أجر قراءتـــها وتلاوتـــها. لذا فإني سأتناول الكلام عن فضلها تبعاً لهذه الأوجه على مبحثين فيما يلي:

## المبحث الأول: مكان وزمان نزولها وإيتائها النبي ﷺ

### المطلب الأول:

### في إيتائها النبي ﷺ عند سدرة المنتهى ليلة المعراج

مما يدلّ على فضلها أنّه أوتيها رسول الله ﷺ ليلة المعراج عند سدرة المنتهى وهو في ذلك الزمان الشريف والحالة العليّة بالقرب من العلي الحكيم سبحانه، فلا ريب أنّ تخصيص إيتائها للنبي ﷺ دون سائر آيات القرآن الكريم في ذلكما المكان والزمان الشريفين – لدلالة واضحة على فضلها وأيّ فضل؟!. وقد ورد في هذا الشأن ما رواه الإمام مسلم بسنده عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «لّما أسري برسول الله ﷺ انتُهي به إلى سدرة المنتهى، وهي في السماء السادسة إليها ينتهي ما يُعْرجُ به من الأرض فيُقْبَضُ منها، وإليها ينتهي ما يُهْبَطُ به من فوقها فيُقبَضُ منها. قال: ﴿إذ يغشى السدرة ما يغشى﴾[1] قال: فَراشٌ من

(١) سورة النجم: الآية (١٦)

**ذهب. قال: فأعطي رسول الله ﷺ ثلاثاً: أعطي الصلوات الخمس، وأعطي خواتيم سورة البقرة وغُفِرَ لمن لم يُشرك بالله من أمته شيئاً المُقْحِمات»**[1].

**والشاهد في هذا الحديث قول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: فأعطي رسول الله ﷺ ثلاثاً (أي حين بلوغه سدرة المنتهى): أُعطي الصلوات الخمس، وأعطي خواتيم سورة البقرة وغُفر لمن لم يشرك بالله من أمته شيئاً المقحمات، فإنّه ﷺ أعطي خواتيم سورة البقرة حين بلغ سدرة المنتهى مع فرضه تعالى للصلوات الخمس ومع حكمه عزوجل بالمغفرة لمن لم يشرك به شيئاً، وحسب هذا الأمر دالٌّ على فضلها ولله الحمد والمنّة .**

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي (دار الفكر – الطبعة الثالثة ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م) ج٣ ص٢-٣. وفي قوله: «وهي في السماء السادسة» قال النووي: «كذا هو في جميع الأصول «السماء السادسة» وقد تقدّم في الروايات الأخر من حديث أنس رضي الله عنه أنها «أي سدرة المنتهى» فوق السماء السابعة، قال القاضي (عياض) كونها في السابعة هو الأصح وهو قول الأكثرين وهو الذي يقتضيه المعنى وتسميتها بالمنتهى. قلت: ويمكن أن يجمع بينهما فيكون أصلها في السادسة ومعظمها في السابعة، فقد علم أنـــها في نهاية من العظم.. » أ.هـ [صحيح مسلم بشرح النووي ج٣ ص٢]. وفي قوله: «وغُفِرَ لمن لم يشرك بالله من أمته شيئاً المقحمات» المقحمات هي: الذنوب العظام الكبائر التي تهلك أصحابها وتوردهم النار وتقحمهم إياها، والتقحُّم هو الوقوع في المهالك، والمراد بغفرانـــها أنّه لايخلّد في النار بخلاف المشركين، وليس المراد أنّه لا يعذّب أصلاً، فقد تقرر في نصوص الشرع وإجماع أهل السنة على إثبات عذاب بعض العصاة من الموحِّدين. (انظر: شرح النووي ج٣ص٣). والله أعلم.

وأقول: وهو كقوله تعالى ﴿**إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالاً بعيداً**﴾ النساء ١١٦. فالله تبارك وتعالى يغفر الذنوب الكبائر لمن تاب منها ما دام أنه لم يشرك بالله، ومن لم يتب منها فهو تحت مشيئته تعالى فمن شاء غفر له وهو الغفور الرحيم.

## المطلب الثاني: في نزولها من كنْز تحت العرش

**ومما يدلّ على فضلها كذلك أنّ الرسول ﷺ أوتيها من كنْز تحت عرش الرحمن – سبحانه وتعالى – لم يُعط أحد منه قبله ولا يعطى منه أحدٌ بعده. فقد روي بسند صحيح عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «فُضِّلنا على الناس بثلاث: جعلت الأرض كلها لنا مسجداً وجعلت تربتها لنا طهوراً، وجعلت صفوفنا كصفوف الملائكة، وأوتيت هؤلاء الآيات آخر سورة البقرة من كنْز تحت العرش لم يعط أحد منه قبلي، ولا يُعطى منه أحد بعدي»[1]. ولاريب أنّ كونها أخرجت من كنْز تحت العرش فيه دلالة على عظم قدرها وقيمتها وشدة العناية بها وتقديسها وفضلها على غيرها من الآيات وأن حظت بهذه المكانة العالية الرفيعة محفوظة في كنْز تحت عرش الرحمن سبحانه وتعالى .**

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده ج٥ ص ٨٨٣؛ ورواه البيهقي في سننه ج١ ص ٢١٣؛ ورواه النسائي في السنن الكبرى – كتاب فضائل القرآن (٤٧)، باب (١٩) الآيتان من آخر سورة البقرة – حديث (٧٩٦٨) ج٧ ص ٢٦٠، تحقيق حسن عبد المنعم شلبي، وصححه الألباني في كتابه السلسلة الصحيحة ج٣ ص٤٧١. وقال: هذا إسناد صحيح على شرط مسلم. وقد رواه الإمام مسلم في صحيحه ج٥ ص٤ بدون ذكر: (وأوتيت هؤلاء الآيات آخر سورة البقرة.. ) إلخ؛ بل فيه عن حذيفة أيضاً قال قال النبي ﷺ بنصه: «فضلنا على الناس بثلاث جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة وجعلت لنا الأرض كلها مسجداً وجعلت تربتها لنا طهوراً إذا لم نجد الماء، وذكر خصلة أخرى». وقال النووي في شرحه: قال العلماء المذكور هنا خصلتان لأن قضية الأرض في كونها مسجداً وطهوراً خصلة واحدة، وأمّا الثالثة محذوفة هنا ذكرها النسائي من رواية أبي مالك الراوي هنا في مسلم قال: وأوتيت هذه الآيات من خواتيم البقرة من كنز تحت العرش و لم يعطهن أحد قبلي ولا يعطاهن أحد بعدي. ا. هـ. ج٥ص٤-٥.

## المطلب الثالث:

## في إنزالها من كتاب كتبه الله تعالى قبل خلق السموات والأرض

ومما تميّزت به خواتيم سورة البقرة أنّها أنزلت من كتاب كتبه الله تعالى قبل خلق السموات والأرض، فقد روي عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ الله تبارك وتعالى كتب كتاباً قبل أن يخلق السموات والأرض بألفي عام أنزل منه آيتين ختم بهما سورة البقرة، ولا تقرآن في دار ثلاث ليال فيقربها شيطان»[1] . ولاشك أنّ هذا الأمر دالٌ على فضلها وتميّزها عن غيرها من آيات القرآن الكريم .

## المطلب الرابع :

## في إرسال الله تعالى ملكاً– لم ينـــزل إلى الأرض قطّ– للبشرى بها

ومن فضلها أنّ الله تعالى أرسل ملكاً من ملائكته الكرام لم ينـــزل قط إلى الأرض فنـــزل من باب من السماء لم يُفتح قط فأتى النبي ﷺ فبشّره بأنّها نور لم يؤته نبيٌ قبله وأنّه لن يقرأ بحرف منها إلاأعطيه. ذلك أنّه قد روي في الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «بينما جبريل قاعد عند النبي ﷺ سمع نقيضاً من فوقه فرفع رأسه فقال: هذا باب من السماء فُتح اليوم لم يُفتَح قطّ إلا

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده ج٤ ص ٢٧٤؛ ورواه الترمذي في سننه ج٥ ص١٥٩–١٦٠، كتاب فضائل القرآن (٤) حديث (٢٨٨٢) وقال: حديث حسن غريب، ورواه الحاكم في مستدركه ج١ ص ٥٦٢. وقال: صحيح الإسناد و لم يخرجاه وأقره عليه الذهبي. والحديث ورد من طريقين كما بيّنهما صاحب فضائل سور وآيات القرآن الكريم أحدهما إسناده حسن والآخر حسن لشواهده، وقد صحح الأول منهما ابن حبّان ج٢ ص ١١٠. (انظر: فضائل سور وآيات القرآن الكريم (القسم الصحيح) لمحمد بن رزق طرهوني، ج١ ص ١٨٧).

اليوم فسلّم وقال: أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبيٌّ قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته»[1] .

فهذا الحديث الشريف بيّن فضل خواتيم سورة البقرة من عدة وجوه:

أحدها: أنّها اقترنت في البشارة بإيتائها النبي ﷺ مع فاتحة الكتاب وهي أعظم سور القرآن الكريم، وهذا بلا ريب يدلّ على فضلها .

ثانيها: أنّه حين البشارة بها فُتح باب من السماء ما فتح قط من قبل، وهذا دالٌ على خصوصية النازل وتميّزه وأهميّته، وهو بلا ريب مشير إلى فضله.

ثالثها: نزول ملك من السماء اختصّ عمله بالبشارة بها يدل أيضاً على عظيم أمرها؛ لأنّ البشارة بشيء يدلّ على عظمه ورفعة شأنه وكبير سرور المبشَّر به .

ورابعها: وصفها هي والفاتحة بنورين، وهو وصف عظيم، ووجهه أنّ كلّ واحد منهما نور يسعى بين يدي صاحبهما، كما أنـــهما ترشدان إلى الصراط المستقيم كما يرشد النور بضوئه السائر في طريقه فيبيّن له الطريق ويهديه إلى برِّ الأمان، وهي بلا شك تبيّن لقارئـــها وتـــهديه لسلوك سبيل النبي الكريم محمد ﷺ وسبيل أصحابه –رضي الله عنهم – من الإيمان الحقّ والإسلام الخالص لله تعالى والانقياد له وطلب مرضاته ومغفرته ورحمته وابتهالهم إلى الله عزوجل ورجوعهم إليه في جميع أمورهم [2] .

(١) رواه مسلم في باب فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة حديث (٢٤٧)، ج٢ ص٤٥٨ [طبعة دار الشعب ] مع شرح النووي.

وقوله: (نقيضاً) أي صوتاً شديداً كصوت نقض خشب البناء، وقيل صوتاً مثل صوت الباب إذا فُتِح. (انظر: فتح الملهم شرح مسلم للديوبندي ج٢ ص٣٥٥).

(٢) انظر: المفهم لما أشكل من صحيح مسلم للحافظ أبي العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي ج٢ ص ٤٣٤.

وخامسها: أنّ الملك قال فيها وفي الفاتحة: «أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك» أي لم يؤت ثوابهما الخاصّ؛ وإلاّ فلا خصوصيّة لأنّ غيرهما من الآي لم يؤته نبيّ قبله كذلك. وهذا دالٌ على فضل خواتيم سورة البقرة بأنّ ثوابها الخاصّ لم يؤته نبي قبله عليه الصلاة والسلام [١] .

وسادسها: ما جاء في قوله: «لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته». ويحتمل هذا الكلام احتمالين، فإن أراد بالحرف الطرف منها وكنّى به عن الجملة فالمراد على هذا: لن تقرأ بجملة منها إلا أعطيت ما تضمّنت إن كانت دعاء أُجِبت وإن كانت ثناء أعطيت الثواب. والاحتمال الآخر وهو أن يراد بالحرف حرف التهجّي فمعناه على أنّ ما ترتّب عليه من العشر حسنات محقّقة القبول؛ وإلاّ فلا خصوصية لأنّ حروف غيرها كذلك[٢]. ولا مانع للجمع بين الاحتمالين فكلاهما صحيح وينطبق على ما ورد من الفضل في شأن هاتين الآيتين الكريمتين. وهكذا فهذه الوجوه الستة تدلّ بجلاء على فضل خواتيم سورة البقرة ولله الحمد والمنة .

❁ ❁ ❁

(١) انظر: إكمال إكمال المعلم لأبي عبد الله محمد بن خلفة الوشتاني ج٢ ص ٤٢٢.

(٢) انظر: فتح الملهم ج٢ ص ٣٥٥؛ إكمال إكمال المعلم ج٢ ص ٤٢٢.

## المبحث الثاني: في أجر قارئها وثوابه

وفي فضل هاتين الآيتين الكريمتين ما دلّ عليه الحديث الصحيح من أجر قارئـــها وثوابه حيث روى البخاري في صحيحه عن أبي مسعود عقبة بن عمرو الأنصاري البدري[1] قال: قال النبي ﷺ: «من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه»[2] فإخباره ﷺ أنّـــهما تكفيان من قرأهما شاهد على فضلها بذكر هذا الأجر والثواب لقارئـــها .

ولكنّه ﷺ لم يخصِّص – ههنا– كفايتهما لقارئهما عن أيّ شيء؟ وإنّما جعلها عامة مطلقة، ولذلك فقد اجتهد شارحوا الحديث في بيان تلكم الكفاية، وأحسب أنّ أجود أقوالهم وأولاها بالصواب ما استند على ما بيّنه الرسول ﷺ في أحاديثه الأخرى التي سبق الحديث عنها في المبحث السابق، ولا ريب أنّ أحسن ما يُبيَّن به كلامُه ﷺ هو حديثه نفسُه. وحاصل تلك الأقوال أنّ هاتين الآيتين تكفيان قارءهما من كلِّ سوء من شرِّ الشيطان وأعوانه وأوليائه من الجنّ والإنس، وتكفيانه كذلك ما حصل له بسببهما من الثواب والأجر وإجابة دعائـــه عن طلب أيِّ شيء آخر، وهي تكفيانه أيضاً فيما يتعلّق بالاعتقاد لما

(١) هو عقبة بن عمرو بن ثعلبة بن أسيرة، وقيل بن عسيرة بن عطية بن خُدارة بن عوف بن الحارث بن الخزرج أبو مسعود البدري – وهو مشهور بكنيته، ولم يشهد بدراً، وإنـــما سكن بدراً، وشهد العقبة الثانية، وكان من أحدث من شهدها سناً، وشهد أحداً وما بعدها من المشاهد، وسكن الكوفة وكان من أصحاب علي رضي الله عنه واستخلفه على الكوفة لماسار إلىصفين (أسد الغابة: ج٣ ص ٥٥٤).

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري: ج٩ ص٥٦، كتاب فضائل القرآن (٦٦)، باب فضل سورة البقرة (١٠) حديث (٥٠٠٩)، ورواه مسلم أيضاً في فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة حديث ٢٤٨-٢٤٩ (طبعة الشعب) ج٢ ص ٤٥٨.

اشتملتا عليه من الإيمان والأعمال إجمالاً [١]. فهي تعمّ هذا كلّه بإذن الله تعالى، إذ قوله ﷺ: « كفتاه » مع حذف المفعول ليشمل ويعمّ كلّ ما يتحصّل بهاتين الآيتين، ولاحدّ لفضل الله وكرمه تعالى .

-ولي أن أضيف إلى هذا الحديث في هذا الشأن ما ورد في الأحاديث بالمبحث السابق، ففيما رواه النعمان بن بشير رضي الله عنه أنّه ﷺ قال في حديثه عن خواتيم سورة البقرة: «ولا تقرآن في دار ثلاث ليال فيقربها شيطان»[٢] ولاشك أنّ هذا من أجر قارئها وثوابه في أنّ داره لايقربها شيطان مدة ثلاث ليالٍ فيعمّ داره الخير ويصرف عنه الشر بسببها .

– ثمّ في رواية ابن عباس رضي الله عنهما وأنّ جبريل قال للنبي ﷺ: «أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته» [٣]. والشاهد ههنا قول جبريل: لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته. وقد بيّنت سابقاً معنى هذه الجملة بأن يعطى قارئ خواتيم سورة البقرة من إجابة دعائه فيها ومنح ثواب ثنائه بها، وما يترتّب من قراءته لحروف كلماتها من الحسنات المحققة القبول، و لاشك أنّ هذا كذلك دالٌ على أجر قارئها وثوابه. وبهذه الإضافة اللازمة يتمّ الكلام عن هذا المبحث وبه يتمّ الفصل الأول في فضل خواتيم سورة البقرة. ولله الحمد والمنّة .

---

(١) انظر: شرح النووي لمسلم ج٢ ص ٤٥٨، فتح الباري ج٩ ص ٥٦؛ عمدة القاري ج ١٦ ص ٢١٢ – ٢١٣؛ إرشاد الساري ج٧ ص ٤٦١، إكمال إكمال المعلم ج٢ ص ٤٢٢؛ فتح الملهم ج٢ ص ٣٥٥؛ المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ج٢ ص ٤٣٥.

(٢) انظر الحديث وتخريجه في متن الصفحة الثامنة وهامشها.

(٣) انظر الحديث وتخريجه وشرحه في الصفحات ٨، ٩، ١٠.

# الفصل الثاني:

# بيان خواتيم سورة البقرة

**تقـــديم :**

في هذا الفصل الثاني والأخير أتناول بيان هاتين الآيتين الكريمتين – بإذن الله تعالى – عبر أربعة مباحث:

## المبحث الأول: سبب النّزول

لقد كان في نـــزول خواتيم سورة البقرة فرج على المؤمنين وتخفيف من ربـــهم ورحمة بعد شدّة وحرج وعنت، ودلّ على هذا ما رواه الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «لـــمّا نزلت على رسول الله ﷺ ﴿لله ما في السموات وما في الأرض وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير﴾[1] قال: فاشتدّ ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ فأتوا رسول الله ﷺ ثمّ بركوا على الرّكب فقالوا: أيْ رسول الله كُلِّفنا من الأعمال ما نطيق الصلاة والصيام والجهاد والصدقة، وقد أنـــزلت عليك هذه الآية ولانطيقها. قال رسول الله ﷺ: أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم سمعنا وعصينا؟بل قولوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير، قالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير، فلمّا اقترأها القوم ذلّت بها ألسنتهم فأنزل الله في إثرها ﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون..﴾ الآية، فلمّا فعلوا ذلك نسخها الله تعالى فأنـــزل قوله عزوجل ﴿لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا﴾ قال: نعم..

---

(١) سورة البقرة: الآية (٢٨٤).

(ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا﴾ قال: نعم. ﴿ربنا ولاتحملنا ما لا طاقة لنا به﴾ قال: نعم.. ﴿واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين﴾ قال: نعم» [١].

وفي رواية أخرى له (أي لمسلم) بلفظ مقارب عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «لـمّا نـزلت هذه الآية ﴿وإن تبدوا ما في أنفسكم أوتخفوه يحاسبكم به الله﴾ قال: دخل قلوبهم منها شيء لم يدخل قلوبهم من شيء فقال النبي ﷺ: قولوا سمعنا وأطعنا وسلّمنا. قال: فألقى الله الإيمانَ في قلوبهم فأنـزل الله تعالى ﴿لا يكلف الله نفساً إلاوسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا﴾. قال: قد فعلت. ﴿ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا). قال: قد فعلت. ﴿واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا﴾ قال: قد فعلت» [٢].

ويظهر من خلال هاتين الروايتين أنّه لما نزلت الآية التي أخبر الله فيها أنّه محاسبٌ عباده على ما يخفونه في أنفسهم اشتدّ ذلك على المؤمنين وداخلهم الحرج وشقّ عليهم الأمر؛ إذ إنّ هذا مما يشقّ ويصعب على الإنسان تجنّبه، فإنه قد تمرّ به أوقات ضعف فتحدّثه نفسه بأمور قد لا يتكلم بها أو يفعلها، ولذلك فإنّ الله تعالى رفع من بعد عنهم المحاسبة بما تحدثهم به أنفسهم ما لم يتكلموا أو يعملوا به رحمة بهم وتخفيفاً عليهم ودفعاً للحرج والعنت عنهم فأنـزل سبحانه ﴿لايكلف الله نفسا إلاوسعها...﴾الآية .

وفي مثل هذا أيضاً جاء حديث المصطفى ﷺ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تجاوز لأمتي ما حدّثت به أنفسها ما لم يتكلّموا

(١) رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب تجاوز الله تعالى عن حديث النفس، حديث رقم (١٨٥)، ج١ ص ٣٣٠ – ٣٣١.

(٢) رواه مسلم: كتاب الإيمان، باب تجاوز الله عن حديث النفس، حديث ١٨٦ ج ٣٣٢.

أو يعملوا به» [1]. ومثله أيضاً في حكم الهمّ بالسيئة فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «قال الله عزوجل: إذا همّ عبدي بحسنة ولم يعملها كتبتها له حسنة، فإن عملها كتبتها عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف، وإذا همّ بسيئة ولم يعملها لم أكتبها عليه، فإن عملها كتبتها سيئة واحدة»[2].

ولهذا كانت هاتان الآيتان (خواتيم سورة البقرة) فرجاً على المؤمنين ورحمة وتخفيفاً، بل وذكر الله تعالى فيها دعاءهم، واستجابته إيّاه كما ورد في الروايتين السابقتين بقوله عزوجل: نعم أو قد فعلت، فلله الحمد والمنة .

❁ ❁ ❁

(١) رواه مسلم: كتاب الإيمان – باب تجاوز الله عن حديث النفس، حديث ١٨٧، ج١ ص ٣٣٢.

(٢) رواه مسلم: كتاب الإيمان – باب تجاوز الله عن حديث النفس، حديث ١٩٠، ج١ ص ٣٣٣.

## المبحث الثاني: في المناسبة

### المطلب الأول: مناسبتها للآية التي قبلها مباشرة

لمّا نـــزل قول الحق تبارك وتعالى ﴿وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله﴾ وأشفق منها المؤمنون، ثمّ تقرر الأمر أنـــهم قالوا سمعنا وأطعنا وثبت أنـــهم رجعوا إلى الله بالتضرّع إليه ورجائه والخضوع له؛ فحين ذلك مدحهم سبحانه وأثنى عليهم بقوله ﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون﴾ إلى آخر السورة.. وقدّمه بين يدي رحمته ورفقه بهم، فجمع لهم بين التشريف بالمدح والثناء وبين رفع المشقّة في أمر الخواطر، ولاريب أنّ هذا من ثمرة طاعة الله – عزوجل – والانقياد له والانقطاع والتضرّع إليه[1]. وهذه المناسبة ظهرت – بلا شك – من معرفة سبب النّزول ولله الحمد والمـــنّة .

ومن وجهة نظر أخرى مناسِبة لاحت للفخر الرازي إذ قال: «لـــمّا بيّن الله تعالى في الآية المتقدمة ﴿لله ما في السموات وما في الأرض﴾ كمال الملك وكمال العلم وكمال القدرة لله تعالى، وذلك يوجب كمال صفات الربوبية أتبع ذلك بأن بيّن كون المؤمنين في نـــهاية الانقياد والطاعة والخضوع لله تعالى، وذلك هو كمال العبودية، وإذا ظهر لنا كمال الربوبية وقد ظهر لنا من المؤمنين كمال العبودية، فالمرجوّ منه سبحانه وتعالى أن يعمّ المؤمنين بفضله ورحمته وجوده وإحسانه وأن يمنّ عليهم برحمته وعنايته في يوم القيامة»[2]. أقول: وهذا ما ورد في الحديث بيانه بعد الدعاء والابتهال بقوله سبحانه: نعم. أو: قد فعلت .

---

(١) انظر: تفسير البحر المحيط لأبي حيّان الأندلسي ج٢ ص ٣٦٣؛ تفسير الثعالبي ج١ ص ٢٣٦ – ٢٣٧.

(٢) التفسير الكبير للفخر الرازي: ج٧ ص ١٢٨. وانظر: تفسير المنار لمحمد رشيد رضا ج٣ ص ١٤٣.

## المطلب الثاني: مناسبة خواتيم سورة البقرة لفاتحتها

ولهذا الختام الكريم لسورة البقرة مناسبة للآيات التي افتتحت بها، وهذا من علوّ وعظمة كلام الله تبارك وتعالى وحسن نظمه وسبكه، إذ إنّه مع طول السورة يجيء الختام متوافقاً ومناسباً للافتتاح!! وقد حكى أبو حيان الأندلسي (صاحب البحر المحيط) أنّه تتبّع أوائل السور الطوال وخواتمها فوجدها متناسبة ومتوافقة. بحيث لا ينخرم منها شيء، وقال: «وذلك من أبدع الفصاحة حيث يتلاقى آخر الكلام المفرط في الطول بأوّله، وهي عادة العرب في كثير من نظمهم يكون أحدهم آخذاً في شيء ثمّ يستطرد منه إلى شيء آخرثمّ إلى آخر هكذا طويلاً ثمّ يعود إلى ما كان آخذاً فيه أولاً»[1] .

وبعد فيظهر هذا التوافق وتتبيّن في هذا المقام المناسبة بأنّه لّما بدأ الحقّ سبحانه كلامه في أوّل السورة بوصف المتقين ومدحهم بقوله: ﴿الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون. والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون. أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون﴾ [2]. لما بدأ ذلك في أول السورة بيّن في آخرها أنّ الذين مدحهم ووصفهم بتلك الصفات الحميدة هم أمّة وأتباع النبي الكريم محمد ﷺ فقال سبحانه ﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله﴾، فناسب هذا النصّ القرآني وهو المراد بقوله تعالى في أول السورة ﴿الذين يؤمنون بالغيب﴾، ثمّ قال ههنا في آخرها: ﴿وقالوا سمعنا وأطعنا﴾ وهو المتناسب مع أوّلها في قوله ﴿ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون﴾، ثم قال ههنا: ﴿غفرانك ربنا وإليك المصير﴾ وهو المتناسب مع قوله في أول السورة

(١) تفسير البحر المحيط: ج٢ ص ٣٦٣ – ٣٦٤.

(٢) سورة البقرة: الآيات (٢ –٥).

﴿وبالآخرة هم يوقنون﴾، ثم حكى عنهم ههنا كيفية تضرّعهم إلى ربهم في قولهم ﴿ربنا لاتؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا...﴾ إلى آخر السورة، وهو المتناسب مع ما ورد في أوّلها ﴿أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون﴾ (١).

ولصاحب نظم الدرر، كلام لطيف ههنا في هذا الشأن إذ يقول: «وأمّا مناسبتها لأوّل السورة رداً للمقطع على المطلع؛فهو أنّه لـــمّا ابتدأ السورة بوصف المؤمنين بالكتاب الذي لاريب فيه على الوجه الذي تقدّم ختمها بذلك بعد تفصيل الإنفاق الذي وصفهم به أوّلها على وجه يتصل بما قبله من الأوامر والنواهي والاتصاف بأوصاف الكمال أشدّ اتصال»(٢).

فسبحان من نظم كلامه وأحسنه ووافق وناسب بين أوله وآخره وأطرافه ووسطه ﴿لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد﴾ (٣).

## المطلب الثالث: مناسبتها لعموم السورة

وكما أنّ الختام ناسب الافتتاح فكذلك هو قد ناسب عموم ما حوته السورة الكريمة، ذلك أنّ الله – تبارك وتعالى – لـــمّا ذكر في السورة العديد من الأحكام التشريعية والقصص والمواعظ وما تخلّل ذلك ممّا هو عونٌ على تلك المقاصد التي شملتها السورة انتقل بعدها إلى تعظيم رسوله والثناء عليه وعلى المؤمنين بقوله ﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون ...﴾ الآية. فأثنى عليهم في إيمانـــهم بجميع الذي ذكر إيماناً خالصاً اقتضى امتثالهم لما جاء به من عمل، ومن أجل هذا قال ابن عاشور: «فالجملة استئناف وضعت في هذا الموقع لمناسبة ما تقدّم، وهو انتقال

(١) انظر: التفسير الكبير للفخر الرازي ج٧ ص ١٢٧ – ١٢٨.

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي: ج١ ص ٥٥٣.

(٣) سورة فصلت: الآية (٤٢).

مؤذن بانتهاء السورة؛ لأنّه لـــمّا انتقل من أغراض متناسبة إلى غرض آخر هو كالحاصل والفذلكة فقد أشعر بأنّـــه استوفى تلك الأغراض»[1] .

وبهذا تنتظم لخواتيم سورة البقرة مناسباتـــها للآية قبلها ولأول السورة وافتتاحها ومن ثمّ لعموم السورة وموضوعاتـــها. ولله الحمد والمنة .

❁ ❁ ❁

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور: ج٣ ص ١٣١ – ١٣٢. وانظر: تفسير أبي السعود ج١ ص ٢٧٤، تفسير الآلوسي ج٣ ص ٦٩؛ حاشية الصاوي على الجلالين ج١ ص ١٣٦.

## المبحث الثالث: بيان الآية الأولى

### المطلب الأول: بيان قوله تعالى: ﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون﴾

يخبر الله تعالى في هذا المقطع الأول من الآية الكريمة أنّ رسوله محمداً ﷺ صدّق فأقرّ بما أوحي إليه منه تعالى من الكتاب وما فيه من حلال وحرام ووعد ووعيد وأمر ونهي وغير ذلك من سائر ما فيه من المعاني التي شملها وحواها[١] .

وهذا الكلام من الله –عزوجل– وإن خرج مخرج الخبر؛ فإنّه يتضمّن مدحاً وثناءً على النبي ﷺ بما أخبر من إيمانه، وفيه أيضاً إشارة إلى الاقتداء به وبالمؤمنين الذين اتبعوه واهتدوا بهدي ربهم [٢] .

أمّا قوله تعالى ﴿والمؤمنون﴾ فيحتمل أمرين: أحدهما: أن يتمّ الكلام عند قوله ﴿والمؤمنون﴾ فيكون المعنى: آمن الرسول والمؤمنون بما أنـــزل الله إليه من ربه، ثم ابتدأ بعد ذلك بقوله ﴿كل آمن بالله وملائكته.. ﴾ والمعنى: كلّ واحد من المذكورين فيما تقدّم وهم الرسول والمؤمنون. وثانيهما: أن يتمّ الكلام عند قوله تعالى ﴿بما أنزل إليه من ربه﴾، ثم يبتدئ من قوله ﴿والمؤمنون كل آمن بالله...﴾، ويكون المعنى: أنّ الرسول آمن بما أنـــزل إليه من ربه، وصدّق المؤمنون أيضاً مع نبيّهم بالله وملائكته وكتبه ورسله [٣]. وعلى كلا الوجهين فإنّ المـــراد والحاصل واحد وهو الإخبار من الله تعالى أنّ الرسول ﷺ آمن بـــما أنـــزل إليه من ربه وأنّ المؤمنين أتباعه في ذلك الإيمان، لأن إيمانـــهم بالله وملائكته وكتبه ورسله

(١) انظر: تفسير الطبري ج١ ص ١٠٠.

(٢) انظر: النكت والعيون للماوردي ج١ ص ٢٩٩.

(٣) انظر: تفسير الطبري ج١ ص ١٠١؛ تفسير الكبير للفخر الرازي ج٧ ص ١٢٩؛ تفسير الآلوسي ج٣ ص ٦٧.

(أركان الإيمان) هو إيمان بما أنـــزل إليه من ربه بلا شكّ. ولذلك فإني أرجّحُ الوقف على قوله تعالى ﴿والمؤمنون﴾، ويكون على هذا الوجه قوله تعالى ﴿كل آمن.. ﴾ جملة مستأنفة من مبتدأ وخبر، ويسوغ الابتداء بالنكرة كونـــها في تقدير الإضافة. ولذلك قال الآلوسي في ترجيح هذا الوجه: «بأنه أقضى لحق البلاغة وأولى في التلقّي بالقبول، لأنّ الرسول ﷺ حينئذ يكون أصلاً في حكم الإيمان بما أنـــزل الله تعالى والمؤمنون تابعون له ويا فخرهم بذلك»[1] .

● فوائد ولطائف :

الأولى: إنّ في تقديم الرسول ﷺ على المؤمنين لأنّ إيمانه هو المتقدم وإيمان المؤمنين متأخّر عن إيمانه، وإذ هو المتبوع وهم التابعون له في ذلك. كما أنّ فيه تعظيماً له ﷺ بمدحه على أنّه أكمل المؤمنين إيماناً بربه عزوجل، وفي ذات الوقت فيه ترغيبٌ لغيره من أمته في هذا الوصف .

الثانية: إنّ في إفراده عليه الصلاة والسلام وحده في ذكر إيمانه دون المؤمنين من أجل التفريق بين الإيمانَيْن؛ فإنّ إيمانه ﷺ عن مشاهدة وعيان وأمّا إيمان المؤمنين فإنّه عن نظر واستدلال أو حجة وبرهان [2]. وفي هذا قال أبو السعود: «وتغيير سبك النظم الكريم عمّا قبله لتأكيد الإشعار بما بين إيمانه عليه السلام المبنيّ على المشاهدة والعيان وبين إيمانهم الناشىء عن الحجة والبرهان من التفاوت البيّن والاختلاف الجليّ كأنـــهما مختلفان من كلّ وجه حتى في هيئة التركيب الدالّ عليهما»[3] .

الثالثة: إنّ في اقتران المؤمنين بالرسول ﷺ والإخبار عنهم جميعاً بخبر واحد

(١) انظر: تفسير البحر المحيط ج٢ ص ٣٦٤؛ نظم الدرر للبقاعي ج١ ص ٥٥٣؛ تفسير البيضاوي ج١ ص ٢٧٢.

(٢) انظر: تفسير البيضاوي ج١ ص ٢٧٢.

(٣) تفسير أبي السعود: ج١ ص ٢٧٤.

شرفاً عظيماً للمؤمنين من جهة وإفادة أنّه ﷺ مشارك لأمّته في الخطاب الشرعي من جهة أخرى [١] .

الرابعة: يلاحظ أنّ الله تعالى ذكر الرسول ﷺ ههنا بطريق الغيبة، وذكره هناك في أول سورة البقرة بقوله تعالى ﴿والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك﴾ بطريق الخطاب، وقد ناسب هذا المقام ذكره بطريق الغيبة لِـــما أنّ حقّ الشهادة الباقية على مرّ الدهور والأعصار أن لايخاطب بها المشهود له[٢] .

الخامسة: إنّ في إيراده ﷺ بعنوان الرسالة المنبئة عن كونه صاحب كتاب مجيد وشرع جديد – دون تعرّض لاسمه الشريف – تعظيماً له وتمهيداً لما يذكر بعده من قوله ﴿بما أنزل إليه﴾، وفيه أيضاً مزيد توضيح لاندراجه في الرسل المؤمن بهم عليهم السلام [٣] .

السادسة: في إجمال ما أنـــزل إليه لتحقيق كيفية إيمانه إجلالاً لمحلّه ﷺ وإشعاراً بأنّ تعلّق إيمانه بتفاصيل ما أنـــزل إليه وإحاطته بجميع ما انطوى عليه من الظهور بحيث لا حاجة إلى ذكره أصلاً [٤] .

السابعة: إنّ في التعرّض لعنوان الربوبية في قوله تعالى ﴿من ربه﴾ مع الإضافة إلى ضميره ﷺ تشريفاً له وتنبيهاً على أنّ إنزاله إليه فيه تربية وتكميل له ﷺ. وفي هذا يقول الآلوسي: «وفي تقديم الانتهاء على الابتداء مع التعرّض لعنوان الربوبية والإضافة إلى ضميره ﷺ ما لايخفى من التعظيم لقدره الشريف والتنويه برفعة محلّه المنيف»[٥] .

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للشيخ عبد الرحمن السعدي، ج١ ص ٣٥٢.

(٢) انظر: تفسير أبي السعود ج١ ص ٢٧٤؛ تفسير الآلوسي ج٣ ص ٦٩-٧٠.

(٣) انظر: تفسير أبي السعود ج١ ص ٢٧٤؛ تفسير الآلوسي ج٣ ص ٧٠.

(٤) انظر: تفسير أبي السعود ج١ ص ٢٧٤.

(٥) روح المعاني للآلوسي: ج٣ ص ٦٧.

الثامنة: وأختم هذه الفوائد واللطائف بسؤال طرحه أبو يحيى زكريا الأنصاري وأجاب عليه، وهو قوله: «إن قلت: أيّ فائدة في هذا الإخبار أي ﴿آمن الرسول﴾ مع أنّ الأنبياء في أعلى درجات الإيمان؟ قلت: فائدته أن يبيِّن للمؤمنين زيادة شرف الإيمان، حيث مدح به خواصّه ورسله، ونظيره في سورة الصافات أنّه ذكر في كل نبيّ ﴿إنه من عبادنا المؤمنين﴾» [1].

## المطلب الثاني: بيان قوله تعالى: ﴿كلٌّ آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله﴾

بالاستناد على ما سبق ذِكْرُه من رجحان الوقف على قوله تعالى ﴿والمؤمنون﴾ الذي يقتضي عطف (المؤمنون) على (الرسول)؛ فإنَّ قوله تعالى ﴿كلٌ﴾ بتنوينه الذي ناب عن الضمير يرجع إلى ﴿الرسول﴾ و ﴿المؤمنون﴾ أي كلُّهم آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله[2].

–وفي قوله تعالى ﴿وكتبه﴾ قرأ حمزة والكسائي وخلف: ﴿وكتابه﴾ على التوحيد وقرأ الباقون على الجمع ﴿وكتبه﴾، وحجة من قرأ ﴿وكتابه﴾ أنّ الكتاب هو القرآن فلا وجه لجمعه، وفي حجة أخرى قال ابن عباس رضي الله عنهما: الكتاب أكثر من الكتب. وقال أبو عبيدة: أراد كلّ كتاب الله بدلالة قوله تعالى ﴿فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق﴾ [3]، فوحَّد إرادة الجنس، وهذا كما يقول القائل: كثُر الدرهم في أيدي الناس، يريد الجنس كلّه. وحجة من قرأ ﴿وكتبه﴾ التناسب بين ما تقدم وما تأخّر، فما تقدّم ذكر بلفظ الجمع وهو قوله ﴿كل آمن بالله وملائكته﴾ وما تأخّر ﴿ورسله﴾ فكذلك ﴿وكتبه﴾ على

(١) فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن لأبي يحيى زكريا الأنصاري، تحقيق محمد علي الصابوني: ص (٧٤).

(٢) انظر: تفسير أبي السعود: ج١ ص ٢٧٤؛ تفسير النسفي، ج١ ص ١٤٤.

(٣) سورة البقرة: الآية (٢١٣).

الجمع ليأتلف الكلام على نظام واحد، هذا مع أنّه أراد جميع الكتب التي أنزل الله تعالى [١] .

● فوائد ولطائف :

الأولى: تكرير الإسناد في قوله تعالى ﴿كلٌ آمن...﴾ لما في الحكم بإيمان كلٍّ واحد منهم على الوجه الآتي من نوع خفاء يحتاج إلى التقوية والتأكيد، أي كلّ واحد منهم آمن بالله وحده من غير شريك له في الألوهية والمعبودية [٢] .

الثانية: وفي توحيد الضمير في قوله تعالى ﴿آمن﴾ مع رجوعه إلى كل المؤمنين لـــما أنّ المراد هو بيان إيمان كلّ فرد منهم من غير اعتبار الاجتماع كما اعتبر في قوله تعالى ﴿وكل أتوه داخرين﴾ [٣]، وهو أبعد عن التقليد، أي كلّ واحد منهم آمن على حياله [٤] .

الثالثة: يلاحظ – ههنا – أنه لم يذكر – سبحانه وتعالى – الإيمان باليوم الآخر مع ذكره له في قوله عزوجل ﴿ولكن البرّ من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين...﴾الآية [٥] وذلك لاندراجه في الإيمان بكتبه، فإنّ اليوم الآخر هو مما جاءت كتب الله بإثباته والدعوة إلى الإيمان به، وهذا – أيضاً – من الإيجاز الذي هو من صنوف البلاغة القرآنية، وخصوصاً أنّ الثواني (الكلام

(١) انظر: حجة القراءات لابن زنجلة ص ١٥٢-١٥٣؛ النشر في القراءات العشر لابن الجزري ج٢ ص ٢٣٧؛ الكشف عن وجوه القراءات السبع لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق: محي الدين رمضان، ج١ ص ٣٢٣.

(٢) تفسير أبي السعود: ج١ ص ٢٧٤.

(٣) سورة النمل: الآية (٨٧).

(٤) انظر: تفسير أبي السعود ج١ ص ٢٧٤؛ تفسير الآلوسي ج٣ ص ٦٧-٦٨، فتح القدير للشوكاني ج١ ص ٣٨٣.

(٥) سورة البقرة: الآية (١٧٧).

المكرّر) كثيراً ما يختصر فيها[1] .

والرابعة: إنّ في وجه الترتيب بين ما ذكره الله تعالى من أركان الإيمان غاية الفصاحة والحكمة الإلهية، إذ جعل الإيمان بالله أولاً؛ لأنّ معرفة الحق – سبحانه – هي الأصل، فوجود الخالق القادر على جميع المقدورات العالم بكل المعلومات الغنيّ عن كل الحاجات هو أمر يقرّ به كل عاقل، وإذ لايمكن – كذلك– الإيمان والتصديق بالملائكة والكتب والرسل إلا بوجود الإيمان الحق بالله تعالى؛ فلذلك كان هو المقدّم على كلّ أركان الإيمان. أمّا الإيمان بالملائكة فجعل في المرتبة الثانية لأنّهم هم الوسائط بين الله وعباده، ثمّ جاء الإيمان بالكتب وهو الوحي الذي يتلقّاه الملكُ من الله تعالى ويوصله إلى رسله وأنبيائه، وهو كمثل استنارة سطح القمر من نور الشمس؛ فذات الملك كالقمر وذات الوحي كاستنارة القمر، فكما أن ذات القمر مقدّمة في الرتبة على استنارته فكذلك ذات الملك متقدم علىحصول ذلك الوحي المعبَّر عنه بهذه الكتب، فلهذا السبب كانت الكتب متأخرة في الرتبة عن الملائكة، ومن ثمّ جاء الإيمان بالرسل في المرتبة الرابعة وهم الذين يقتبسون أنوار الوحي من الملائكة، فهم تأخّروا في الرتبة عن الكتب من أجل هذا المعنى. [2] والله أعلم بمراده .

## المطلب الثالث: بيان قوله تعالى: ﴿لانفرّق بين أحد من رسله﴾

يخبر الحق تعالى ههنا عن المؤمنين أنهم يقولونَ ﴿لانفرق بين أحد من رسله﴾، ففي الكلام محذوف دلّ عليه الكلام وهو: يقولون، فتقدير الكلام: كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله يقولون لانفرق بين أحدمن رسله، وهو كقوله تعالى ﴿والملائكة يدخلون عليهم من كل باب. سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى

(١) انظر: تفسير أبي السعود ج١ ص ٢٧٤؛ تفسير الآلوسي ج٣ ص ٦٨.

(٢) انظر: البحر المحيط لأبي حيان ج١ ص ٣٦٤؛ التفسير الكبير للفخر الرازي ج٧ ص ١٣٠.

الدار﴾[١]؛ فالمحذوف يقولون وتقديره: يقولون سلام عليكم[٢].. والمراد من كلامهم هذا أنّـــهم لايفرقون بينهم بأن يؤمنوا ببعض منهم ويكفروا بآخرين بل هم مؤمنون بصحة رسالة كلٍّ أحد منهم .

–وغاية قولهم هذا ومقصوده من وجهين:

الوجه الأول: إثبات النبوة والرسالة بشكل عام، إذ الإيمان ببعض الرسل دون بعض ينقض هذا الإثبات ويخلّ به .

الوجه الثاني: إثبات النبوة والرسالة لنبينا وسيدنا محمد ﷺ، وذلك بالتعريض في هذا القول بتخطئة أهل الكتاب الذين كفروا به وردّوا دعوته، وشأن المؤمنين أن يؤمنوا برسل الله وأنبيائه جميعاً، فهم قد جانبوا الحق بإنكارهم نبوة رسول الله ﷺ وكفرهم به وبما جاء به[٣]. وفي هذا الوجه قال الآلوسي: «وقيّدوا إيمانهم بذلك تحقيقاً للحقّ وتنصيصاً على مخالفة أولئك المفرّقين من الفريقين (اليهود والنصارى) بإظهار الإيمان بما كفروا به فلعنة الله على الكافرين»[٤] .

في القراءات: قرأ يعقوب بالياء في قوله تعالى: ﴿لا نفرق﴾ أي قرأ: ﴿لا يُفرّق﴾، وقرأ الباقون بالنون ﴿لا نفرّق﴾[٥] . وقراءة يعقوب على أنّ الضمير عائد على ﴿كلٌ آمن بالله﴾[٦]، أي: لا يفرّق الله تعالى بين أحد من رسله .

---

(١) سورة الرعد: الآيتان (٢٣ – ٢٤).

(٢) انظر: تفسير الطبري ج٣ ص ١٠١، تفسير أبي السعود ج١ ص ٢٧٥. ويحتمل أنّ النون في قوله تعالى: ﴿ لانفرق ﴾ للجلالة، أي آمنوا في حال أنّنا أمرناهم بذلك لأننا لا نفرق، فالجملة على هذا المعنى معترضة. (انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور ج٣ ص ١٣٣).

(٣) انظر: البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ج٢ ص ٣٦٥.

(٤) روح المعاني للآلوسي: ج٣ ص ٦٨.

(٥) النشر في القراءات العشر لابن الجزري: ج٢ ص ٢٢٧.

(٦) التحرير والتنوير لابن عاشور: ج٣ ص ١٣٣.

● فوائد ولطائف :

الأولى: من كمال ثنائه – عزّوجلّ – على عباده المؤمنين أن جمع لهم في هذه الآية الكريمة بين إخباره عن حالهم وبين حكاية قولهم ﴿لا نفرق بين أحد من رسله﴾ وذلك جمعاً لهم بين القول والعمل والماضي والمستقبل، ولا ريب أنّ هذا غاية الثناء والمدح، ولله الحمد والمنة [١] .

الثانية: لم يتعرّض النصّ القرآني – ههنا– لِذِكْر نفي التفريق بين الكتب؛ وذلك لأنّ نفي التفريق بين الرسل يستلزم نفي التفريق بين الكتب، كما أنّ الأصل في تفريق المفرّقين هم الرسل؛ وكفرهم بالكتب متفرّع على كفرهم بهم[٢] .

الثالثة: إنّ التفضيل الذي جاء في قوله تعالى ﴿تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض.. ﴾ الآية[٣] إنّـــما هو في مزايا أخرى فوق الرسالة، ولا تعارض مع قوله تعالى ههنا ﴿لا نفرق بين أحد من رسله﴾ [٤] .

الرابعة: من البلاغة القرآنية ههنا أسلوب الالتفات، فإنّه بعد أن كان سبحانه يتكلّم بالغيبة عن المؤمنين التفت في الكلام وانتقل إلى أسلوب المتكلّم عنهم بتقدير أنّه مقول قول محذوف دلّ عليه السياق كما بيّنت ذلك آنفاً [٥] .

الخامسة: قال الله تعالى: ﴿بين أحد﴾ ولم يقل بين آحاد؛ وذلك لأنّ (أحد) يتناول الواحد والجمع، وهي المختصة بالنفي وما أشبهه؛ إذ هي للعموم، ولذلك دخلت (مِن) عليها كقوله تعالى ﴿فما منكم من أحد عنه حاجزين﴾ [٦] .

(١) انظر: النكت والعيون للماوردي ج١ ص ٣٠٠.

(٢) انظر: حاشية الجمل على الجلالين ج١ ص ٢٣٧.

(٣) سورة البقرة: الآية (٢٥٣).

(٤) انظر: تفسير المراغي ج٣ ص٨٥.

(٥) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور ج٣ ص ١٣٣.

(٦) انظر: البحر المحيط لأبي حيان ج٢ص ٣٦٥؛ فتح القدير للشوكاني ج١ ص ٣٨٤. والآية =

السادسة: قوله تعالى: ﴿من رسله﴾ إظهار في محلّ الإضمار، أي فلم يقل لا نفرق بين أحد منهم كقوله في نفس السورة ﴿وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم﴾ الآية [١]. وكقوله في سورة آل عمران ﴿وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون﴾ [٢]، وذلك لاحتمالين: إمّا للاحتراز عن توهّم اندراج الملائكة في هذا الحكم، وإمّا للإشعار بعلّة عدم التفريق بينهم، وهي أنّهم أصحاب رسالة من الله تعالى [٣].

## المطلب الرابع: بيان قوله تعالى ﴿وقالوا سمعنا وأطعنا﴾

يخبر الله – تبارك وتعالى – مادحاً عباده المؤمنين في هذا الجزء الأخير من الآية في امتثالهم لأوامره ونواهيه إثر حكاية إيمانهم، فقولهم (سمعنا) ليس المراد منه السماع الظاهر؛ لأنّ هذا لا يفيد المدح لهم، بل المراد أنـــهم سمعوا بآذان عقولهم أي عقلوه وعلموا صحّته وتيقّنوا أنّ كلّ تكليف جاءهم من عند ربهم فهو حق واجب القبول. فغاية قولهم سمعنا هو رضاهم وقبولهم بما جاءهم من شرع الله تعالى، فهو السماع النافع الدافع إلى العمل والامتثال ومثله قوله تعالى ﴿إنّ في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد﴾ [٤]. والمراد: لمن سمع الذكرى بفهم حاضر وقبول، وعكسه قوله تعالى ﴿ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لايسمعون﴾[٥]، ومثله أيضاً قوله سبحانه وتعالى ﴿يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصرّ

= في سورة الحاقة رقم (٤٧).

(١) سورة البقرة: الآية رقم (١٣٦).

(٢) سورة آل عمران: الآية رقم (٨٤).

(٣) انظر: فتح القدير للشوكاني ج١ ص ٣٨٤.

(٤) سورة ق: الآية (٣٧).

(٥) سورة الأنفال: الآية (٢١).

مستكبراً كأن لم يسمعها﴾ الآية [1]، ولهذا المعنى من الرضا والقبول قالوا بعدها (وأطعنا) أي امتثلنا [2]. وقد عبّر ابن كثير عن ذلك كلّه بقوله: «أي سمعنا قولك يا ربنا وفهمناه وقمنا به وامتثلنا العمل بمقتضاه»[3].

● فوائد ولطائف :

الأولى: إنّ قول المؤمنين (سمعنا وأطعنا) ينبئ عن شخصية المؤمن الملتزمة بعموم ما جاء به النبي ﷺ من الكتاب والسنة وأنّه دوماً سمّاعاً قابلاً مذعناً ومنقاداً لأوامر الله تعالى ورسوله ﷺ، ولهذا قال السعدي في تفسيره: «هذا التزام من المؤمنين عام لجميع ما جاء به النبي ﷺ من الكتاب والسنة، وأنهم سمعوه سماع قبول وإذعان وانقياد»[4]. وعلى هذا فإنّ قولهم (سمعنا وأطعنا) مقالة ينبغي أن يتمثّلها المؤمن كلَّ حياته، وفي هذا الشأن قال الثعالبي أنّ هذه الجملة (مدح يقتضي الحضّ على هذه المقالة وأن يكون المؤمن يمتثلها غابر الدهر)[5].

الثانية: إنّ في قوله تعالى ﴿وقالوا سمعنا وأطعنا﴾ تعريضاً بالتوبيخ والردّ لأولئك الذين قالوا (سمعنا وعصينا) من اليهود وأشباههم، وقد أخبر الله تعالى عن قولهم هذا في آيتين إحداهما بسورة البقرة بقوله عزوجل ﴿وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا قالوا سمعنا وعصينا وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم ...﴾ الآية[6]، وثانيهما في سورة النساء بقوله سبحانه ﴿من الذين هادوا

(١) سورة الجاثية: الآية (٨).

(٢) انظر: التفسير الكبير للفخر الرازي ج٧ ص ١٣٧؛ البحر المحيط لأبي حيان ج٢ ص ٣٦٦؛ تفسير ابن كثير ج١ ص ٣٤٢؛ حاشية الصاوي على الجلالين ج١ ص ١٣٦؛ روح المعاني للآلوسي ج٣ ص ٦٩؛ التحرير والتنوير لابن عاشور ج٣ ص ١٣٣.

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ج١ ص ٣٤٢.

(٤) تفسير السعدي: ج١ ص ٣٥٢.

(٥) تفسير الثعالبي: ج١ ص ٢٣٧.

(٦) سورة البقرة: الآية رقم: (٩٣).

يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا ليا بألسنتهم وطعناً في الدين﴾. الآية [١] .

الثالثة: يذكر ابن عاشور في وجه مجيء الفعلين (سمعنا وأطعنا) بلفظ الماضي دون المضارع فيقول: «إنّما جيء بلفظ الماضي دون المضارع ليدلّوا على رسوخ ذلك لأنـــهم أرادوا إنشاء القبول والرضا؛ وصيغ العقود ونحوها تقع بلفظ الماضي نحو بعت واشتريت.. إلخ»[٢]. وهذه لطيفة تنبئ عن غاية الدقّة في الفهم من ابن عاشور رحمه الله .

الرابعة: إنّ في تقديم السمع على الطاعة مراعاة لكون الوسيلة تتقدم على الغاية؛ فإن التكليف طريقه السمع والطاعة غايته وهدفه [٣] .

الخامسة: إشارة إلى ما ذكرته في تقديم الحديث عن قوله تعالى ﴿وقالوا سمعنا وأطعنا﴾ بأنّه بعد أن حكى الله إيمان المؤمنين حكى عنهم بعده امتثالهم لمقتضاه فللفخر الرازي كلام مفيد ولطيف في ذلك حيث قال: «إنّ كمال الإنسان في أن يعرف الحقّ لذاته والخير لأجل العمل به، واستكمال القوة النظرية بالعلم، واستكمال القوة العملية بفعل الخيرات، والقوة النظرية أشرف من القوة العملية. والقرآن مملوء من ذكرهما بشرط أن تكون القوة النظرية مقدمة على العملية، قال تعالى عن إبراهيم عليه السلام ﴿رب هب لي حكماً وألحقني بالصالحين﴾ الآية [٤]، فالحكم القوة النظرية وألحقني بالصالحين كمال القوة العملية، وإذا كان هذا فإنّ الأمر في هذه الآية كذلك فقوله ﴿كل آمن بالله وملائكته

(١) انظر: حاشية الصاوي على الجلالين ج١ ص ١٣٦؛ والآية بسورة النساء رقم (٤٦).

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور: ج٣ ص ١٣٤.

(٣) انظر: البحر المحيط لأبي حيان ج٢ ص ٣٦٦؛ روح المعاني للآلوسي ج٣ ص ٦٩؛ فتح القدير للشوكاني ج١ ص ٣٨٤.

(٤) سورة الشعراء: الآية (٨٣).

وكتبه ورسله﴾ إشارة إلى استكمال القوة النظرية بهذه المعارف الشريفة، وقوله ﴿وقالوا سمعنا وأطعنا﴾ إشارة إلى استكمال القوة العملية الإنسانية بهذه الأعمال الفاضلة الكاملة)) ثم قال رحمه الله: ((ومن وقف على هذه النكتة علم اشتمال القرآن على أسرار عجيبة غفل عنها الآخرون))[1]. ولقد صدق فيما قال .

## المطلب الخامس: بيان قوله تعالى ﴿غفرانك ربنا وإليك المصير﴾

وهذه الجملة الكريمة تتمة للجزء الأخير من الآية إذ يخبر سبحانه وتعالى فيها عن حال المؤمنين بعد قبولهم ورضاهم بما أمر وقيامهم بطاعته، يخبر عن سؤالهم المغفرة والرحمة واللطف إثر ذلك لما يخشونه من التقصير في حقِّه – عزوجل– أو لأنّ عبادتهم التي قاموا بها وأعمالهم التي عملوها وإن كانت فيما يحبّ؛ ولكنها بالنسبة إلى جلاله وعظمته تقصير ونقصان [2]، وهو كقوله تعالى ﴿والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون﴾ [3]. وللصاوي في حاشيته على الجلالين إضافة حسنة في هذا الشأن إذ قال: ((فالإنسان يطلب المغفرة، ولو في حالة الطاعة بسبب ما يطرأ عليها من العجب وحبِّ المحمدة وغير ذلك من الآفات التي تذهبها، فالعارف لايعتمد على أعماله أبداً، وعلامة ذلك كونه يجدد التوبة والاستغفار ولو كان متلبساً بأكبر الطاعات))[4] .

● معنى (غفرانك) وصيغتها:

الغفران: مصدر بصيغة (فُعلان) وهي صيغة مبالغة، وهي بمعنى المغفرة

(١) التفسير الكبير للفخر الرازي: ج٧ ص ١٣٥.

(٢) انظر: البحر المحيط لأبي حيان ج٢ ص ٣٦٦.

(٣) سورة المؤمنون: الآية رقم (٦٠).

(٤) حاشية الصاوي على الجلالين: ج١ ص ١٣٦. وانظر: التفسير الكبير للفخر الرازي ج٧ ص ١٣٧.

والغَفْر. وأصل معناه التغطية والسَّتْر، والمراد منه ستر الذنوب والتجاوز عن الخطايا ومحوها، وإنـــما يكون ذلك بعدم الفضيحة بها في الدنيا وترك الجزاء عليها في الآخرة[١] .

ولكون (غفران) صيغة مبالغة فقد قال صاحب نظم الدرر: «وهي صيغة مبالغة تعطي الملء ليكون غفراً للظاهر والباطن، وهو مصدر محيط المعنى نازل منـــزلة الاستغفار الجامع لما أحاط به الظاهر والباطن»[٢]. ولمثله قال الفخر الرازي أيضاً: «فأظنّ أنّ المراد من قوله (غفرانك) هو ذلك الغفران الكبير كأنّ العبد يقول: هب أنّ جرمي كبير لكن غفرانك أعظم من جرمي»[٣] .

–ومعنى قولهم (غفرانك ربنا) أي نسألك غفرانك؛ على أنّ (غفرانك) مفعول به. أو المعنى: اغفر لنا غفرانك؛ على أنّ (غفرانك) مفعول مطلق. وكلا الوجهين جائزان. وقد ذهب الآلوسي إلى أنّ الأولى من الوجهين أن يكون (غفرانك) مفعول مطلق، وعلّل ذلك بأنّ في كون (غفرانك) مفعول به ما يقتضي من تقدير الفعل الخاص المحوج إلى اعتبار القرينة[٤] .

هذا وقد ذهب الزمخشري إلى أنّ (غفرانك) منصوب بإضمار فعله فيقال: غفرانك لا كفرانك، أي نستغفرك ولا نكفرك. وعلى هذا الوجه الثالث تكون الجملة خبرية، وعلى الوجهين السابقين تكون طلبية. ولا ريب أنّ ما ذكره

(١) انظر: لسان العرب لابن منظور ج٥ ص ٢٥؛ تفسير الطبري ج٣ ص١٠٢، حاشية الصاوي على الجلالين ج١ ص١٣٦؛ نظم الدرر للبقاعي ج١ ص ٣٥٥؛ المنار لمحمد رشيد رضا ج٣ ص ١٤٥.

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي: ج١ ص ٣٥٥.

(٣) التفسير الكبير للفخر الرازي: ج٧ ص ١٣٨.

(٤) انظر: تفسير الطبري ج٣ ص ١٠٢؛ النكت والعيون للماوردي ج١ ص ٣٠٠؛ البحر المحيط لأبي حيان ج٢ ص ٣٦٦؛ تفسير القرطبي ج٣ ص ٤٢٩؛ حاشية الصاوي على الجلالين ج١ ص ١٣٦؛ روح المعاني للآلوسي ج٣ ص ٦٩؛ التحرير والتنوير لابن عاشور ج٣ ص ١٣٤.

الزمخشري وجه سائغ في اللغة أيضاً [1] .

–وأمّا قوله تعالى بعد (غفرانك) حكاية عن المؤمنين ﴿ربنا﴾ فهو على سبيل النداء له تعالى، وحرف النداء محذوف، والتقدير: يا ربنا وإنـــما حذف حرف النداء للدلالة على قربهم من ربّهم عزّ وجل، ولذلك قال صاحب نظم الدرر: ((وهو خطاب قرب من حيث لم يظهر فيه أداة نداء، ولم يُجْرِ الله سبحانه على ألسنة المؤمنين في كتابه العزيز نداء بُعد قط))[2].

أقول: وقد تأمّلت الآيات الواردة في نداء المؤمنين لربهم – سبحانه – فوجدت ما قاله البقاعي قولاً دقيقاً، وهو مشعر – بما ذكرت – من قربهم له عزّوجلّ، كما أنّه مشعر بقربه عزّوجلّ منهم، وهذا مصداق قوله تعالى: ﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريبٌ أجيب دعوة الداع إذا دعان ...﴾ الآية[3] .

● لطائف :

الأولى: في وجه إضافة الغفران إلى الله تعالى بقوله ﴿غفرانك﴾ يراد منه غفرانه الذي يليق إضافته إليه لما له من الكمال والشرف والجلال؛ والذي لا يبلغ إليه العبد إلا بفضله تعالى وكرمه وجوده، فهو طلب من المؤمنين بأن يعاملهم بما هو أهله لا بما هم أهله[4].

الثانية: في ندائهم الله تعالى في مقام طلب الغفران بوصف الربوبية الدالّ على إحسانه بهم وابتغائه خيرهم ومصلحتهم استلطاف له سبحانه ومزيد طلب ورجاء لرحمته وإحسانه بهم [5] .

(١) انظر: تفسير الكشاف للزمخشري ج١ ص ١٧٢.
(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي: ج١ ص ٣٥٥.
(٣) سورة البقرة: الآية رقم (١٨٦).
(٤) انظر: نظم الدرر ج١ ص ٣٥٥.
(٥) انظر: نظم الدرر ج١ ص ٣٥٥.

وفي هذا يقول أبو السعود: «والتعرّض لعنوان الربوبية مع الإضافة إليهم للمبالغة في التضرّع والجؤار»[١] .

الثالثة: إن الأصل في الكلام أن يتقدّم المنادى في النداء قبل الطلب الذي نودي من أجله، ولكنّما قدّم – ههنا– طلب الغفران على المنادى لإظهار كمال الرغبة في هذا الطلب وخلوص الطالب له وبيان غاية الأهمية في رجاء الحصول عليه من المنادى وهو الحقّ عزّوجل .

الرابعة: قدّم المؤمنون قولهم (سمعنا وأطعنا) على طلبهم الغفران من الله تعالى لِما أنّ تقديم الوسيلة على المسؤول أدعى إلى الإجابة والقبول [٢]. فيُعلَم من هذا أنّ طاعة الله تبارك وتعالى هي سبب لإجابة الدعاء ونيل المغفرة منه سبحانه .

● في وجه ختم الآية بقولهم ﴿وإليك المصير﴾:

هذه الجملة الكريمة هي آخر ما يذكره الله – عزوجل– عن إيمان عباده المؤمنين، وهو إقرارهم بأنّ الرجوع والبعث من بعد الموت إليه، ولا ريب أنّ هذا يفيده ما ذكره الله عنهم من قبل، فإنّ من إيمانهم بالله وملائكته وكتبه ورسله إيمانهم باليوم الآخر الذي أخبر الله عنه؛ وأنّه كائن لا محالة على ما أوحت به ملائكته إلى رسله وأنـــزله في كتبه؛ ولكنّما جيء به هنا على لسانهم تصريحاً به في موطن طلب الغفران منه تعالى؛ إذ هو تقرير لحاجتهم إلى هذا الغفران الذي ينجيهم يوم المصير إليه للحساب والجزاء. فقوله تعالى ﴿وإليك المصير﴾ تذييل لما قبله مقرِّر للحاجة إلى المغفرة [٣]. وإلى هذا المعنى أشار ابن جرير الطبري بقوله:

---

(١) تفسير أبي السعود: ج١ ص ٢٧٦.

(٢) انظر: تفسير أبي السعود ج١ ص ٢٧٦.

(٣) انظر: تفسير أبي السعود ج١ ص ٢٧٦؛ تفسير الآلوسي ج٣ ص ٦٩؛ محاسن التأويل للقاسمي ج٣ ص ٣٨٩؛ تفسير المنار لمحمد رشيد رضا ج٣ ص ١٤٥؛ تفسير القرطبي ج٣ ص ٤٢٩.

«وإليك يا ربنا مرجعنا ومعادنا فاغفر لنا ذنوبنا»[1]. وعن هذا المعنى عبّر المهايمي – أيضاً– بكلام مختصر مفيد إذ قال: «كيف لا نستغفرك والمصير إليك»[2] .

● لطيفتان :

الأولى: إنّ في تقديم المجرور في قوله تعالى ﴿وإليك المصير﴾ إفادةً للحصر، أي المصير إليك لا إلى غيرك، وهو قصر حقيقي يقصد به لازم فائدته، وهو العلم بأنهم صائرون إليه تعالى ولايصيرون إلى غيره ممّن يعبدهم أهل الضلال[3].

الثانية: إنّ في ختم الآية بقوله تعالى ﴿وإليك المصير﴾ إشارة واضحة إلى أثر الإيمان باليوم الآخر في تمام الإخلاص للطاعات لله تعالى وكمال الاحتراز من السيئات [4] . وبهاتين اللطيفتين يتم الكلام في بيان الآية الأولى من خواتيم سورة البقرة. ولله الحمد والمنّة .

❁ ❁ ❁

(١) تفسير الطبري: ج٣ ص ١٠٢.

(٢) تفسير المهايمي: ج١ ص ١٠٠.

(٣) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور ج٣ ص ١٣٤.

(٤) انظر: التفسير الكبير للفخر الرازي ج٧ ص ١٣٨.

## المبحث الرابع: بيان الآية الثانية

### المطلب الأول: المناسبة لما قبلها

لقد مرّ آنفاً في ذكر سبب نزول خواتيم سورة البقرة أنّه لـــمّا نزلت الاية التي أخبر الله فيها أنّه محاسبٌ عباده فيما يخفونه في خواطرهم بقوله ﴿وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله﴾ اشتدّ ذلك على المؤمنين وداخلهم الحرج والعنت؛ إذ إنّ هذا ممّا يشقّ على الإنسان ويصعب عليه فقد تمرّ به أوقات ضعف وتحدّثه نفسه بأمور لايتكلم بها ولايفعل ما تؤدي إليه، ولـــمّا كان ذلك أنزل الله تعالى هذه الآية الكريمة والتي في بدايتها ﴿لا يكلف الله نفساً إلا وسعها﴾ رحمة وتخفيفاً على المؤمنين ودفعاً للحرج والمشقة والعنت عنهم. فعلى هذا الكلام فالارتباط وثيقٌ بما قبلها؛ والمناسبة ظاهرة وواضحة. وللفخر الرازي حول هذه المناسبة كلام لطيف إذ ذكر عن المؤمنين أنهم لما قالوا (سمعنا وأطعنا) ثم قالوا بعده: (غفرانك ربنا) دلّ ذلك على أنّ قولهم: (غفرانك) طلباً للمغفرة في ذلك التقصير، لا جرم خفّف الله عنهم ذلك وقال: ﴿لا يكلف الله نفساً إلا وسعها﴾، فقوله تعالى ﴿لا يكلف الله نفساً إلا وسعها﴾ هو بمثابة الإجابة والجزاء لهم في دعائهم بقولهم (غفرانك ربنا) [(١)].

وبمثل هذا قال الآلوسي عن قوله تعالى ﴿لا يكلف الله نفساً إلا وسعها﴾ أنّه «جملة مستأنفة سيقت إخباراً منه تعالى بعد تلقّيهم لتكاليفه سبحانه بالطاعة والقبول بما له عليهم في ضمن التكليف من محاسن آثار الفضل والرحمة ابتداءً لا بعد السؤال»[(٢)].

---

(١) انظر: التفسير الكبير للفخر الرازي: ج٧ ص ١٣٩؛ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي ج٣ ص ٥٥٧.

(٢) روح المعاني للآلوسي: ج٣ ص٦٩. وانظر: تفسير أبي السعود ج١ ص٢٧٧.

هذا وقد تناولت الحديث عن هذا المعنى في ذكر سبب النّزول سابقاً؛ وإنـــما أحببت هنا الإشارة لذلك من أجل بيان وجه الارتباط والمناسبة لهذه الآية الكريمة بما قبلها .

## المطلب الثاني: بيان قوله تعالى: ﴿لايكلّف الله نفساً إلا وسعها﴾

يبيّن الله تعالى في هذه الجملة الكريمة أنّه لايُلزم عباده بما فيه كُلْفةٌ ومشقّة على نفوسهم؛ بل إنّه يكلّفهم ويُلزمهم بما في وُسْعهم وطاقتهم وجِدهم ومقدرهم أو دون ذلك [1] .

ولا ريب أنّ هذا من عدله تعالى ورحمته بعباده ورأفته بهم وتيسيره عليهم. وهذه سنّته – عزوجل – أنّه لا يكلّف نفساً من النفوس إلا ما تطيق وإلاّ ما هو دون ذلك رحمة وفضلاً أو كرامة ومنّةً على عباده .

هذا ولقد جاءت الآيات القرآنية بمثل هذه الجملة في خمسة مواضع (أحدها) في نفس هذه السورة (سورة البقرة) بقوله تعالى: ﴿والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف لا تكلّف نفسٌ إلا وسعها﴾ الآية[2]. وجاءت الجملة في هذه الآية معترضة تعليلاً لقوله تعالى ﴿بالمعروف﴾؛ لأن الله أحال تقدير ما يجعله الوالد للمرضع ولده من أجر

(١) التكليف هو الأمر بما يشقّ، قال صاحب لسان العرب والجوهري: تكلفت الشيء إذا تجشمته على مشقة وعلى خلاف عادتك. والوُسع: الطاقة والجِدة، وهو أيضاً ما يَسَعُ الإنسان ولايضيق عليه. وقال الفراء: الوسع اسم في مثل الوُجد والجُهد. وانظر (لسان العرب ج٩ ص ٣٠٧، معاني القرآن للفراء ج١ ص ١٨٨، تفسير الطبري ج٣ص١٠٣؛ تفسير القرطبي ج٣ص٤٣٠؛ تفسير البحر المحيط ج١ ص٣٦٦؛ تفسير أبي السعود ج١ص٢٧٧، تفسير الآلوسي ج٣ ص٦٩؛ تفسير البيضاوي ج١ص٢٧٣؛تفسير النسفي ج١ ص ١٤٤).

(٢) سورة البقرة: الآية رقم (٢٣٣).

– من نفقة وكسوة ونحوهما– على ما تعارف عليه أمثالهم من الناس حسب مراتبهم وسعتهم وما لا إجحاف فيه على الوالد [١] .

و (ثانيها) في سورة الأنعام بقوله تعالى: ﴿ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشدّه وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلّف نفساً إلا وسعها..﴾ الآية [٢]. وموقع الجملة في هذا الموضع معترضةٌ – أيضاً – للاحتراس، أي لا نكلفكم تمام القسط في الكيل والميزان بالحبة والذرّة ولكنّا نكلّفكم ما تظنون أنّه عدل ووفاء والمقصود من هذا الاحتراس أن لا يترك الناس التعامل بينهم خشية الغلط أو الغفلة؛فيفضي ذلك إلى تعطيل منافع جمّة[٣].

و(ثالثها) بسورة الأعراف في قوله تعالى: ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلّف نفساً إلا وسعها أولئك أصحاب الجنة هم فيه خالدون﴾ [٤]، وكذلك موقع الجملة هنا معترضة بين قوله تعالى ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ وبين قوله ﴿أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون﴾، وفائدة هذا الاعتراض إظهار الرفق بالمؤمنين؛ لأنّه لما بشرهم بالجنة على فعل الصالحات طمأن قلوبهم بأن لايُطلبوا من الأعمال الصالحة بما يخرج عن الطاقة، حتى إذا لم يبلغوا إليه أيسوا من الجنة، بل إنـــما يُطلبون منها بما في وُسعهم، فإنّ ذلك يرضي ربهم تعالى [٥] .

و(رابعها) في سورة المؤمنون بقوله تعالى: ﴿ولا نكلّف نفساً إلاّ وسعها ولدينا كتاب ينطق بالحق وهم لا يظلمون﴾[٦]، وموقع الجملة هنا تذييل لـــما تقدّم من أحوال

(١) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور، ج٢ ص٤٣٢.

(٢) سورة الأنعام: الآية رقم (١٥٢).

(٣) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور ج٨ ص١٦٥.

(٤) سورة الأعراف: الآية رقم (٤٢).

(٥) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور ج٨ ص ١٣٠.

(٦) سورة المؤمنون: الآية رقم (٦٢).

الذين هم من خشية ربهم مشفقون؛ لأنّه لمّا ذكر ما اقتضى مخالفة المشركين لِما أمروا به من توحيد الدين، وذكر بعده ما دلّ على تقوى المؤمنين بالخشية وصحة الإيمان والبذل ومسارعتهم في الخيرات، ذَيَّل ذلك بأنّ الله ما طلب من الذين تقطّعوا أمرهم (المشركين) إلا تكليفاً لا يشقّ عليهم؛ وبأنّ الله عذر من المؤمنين من لم يبلغوا مبلغ من يفوتـــهم من الأعمال عذراً يقتضي اعتبار أجرهم على ما فاتـــهم إذا بذلوا غاية وُسعهم[1] .

و(خامسها) في سورة الطلاق بقوله تعالى: ﴿لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها سيجعل الله بعد عسر يسراً﴾ [2]. وجاءت الجملة هنا معترضة تعليلاً لقوله تعالى ﴿ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله﴾[3] .

وهكذا بالمرور على مواضع مثيلات هذه الجملة الكريمة في آيات القرآن العظيم يشهد المتأمّل ما دارت عليه من أمر تيسير الله تعالى ورفقه بعباده ورفع المشقة والحرج عنهم ولله الحمد والمنّة. وهذا كما قال سبحانه: ﴿يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾[4]. وكقوله تعالى أيضاً: ﴿وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾[5] .

وأرجع إلى الجملة التي أنا بصدد بيانـــها في خواتيم سورة البقرة فأقول: إنّ هذه الجملة الكريمة – كما سبق وبينت – انكشفت كربة المؤمنين وفرّج الله عنهم بها همّهم في تأوّلهم أمر الخواطر، ولذلك قال الطبري رحمه الله في بيانها: «لا يكلّف الله نفساً إلاما يسعها فلايجهدها ولايضيق عليها في أمر دينها فيؤاخذها

(١) انظر: التحرير والتنوير ج١٨ ص ٧٨-٧٩.

(٢)سورة الطلاق: الآية رقم (٧).

(٣) انظر:التحرير والتنوير ج٢٨ ص ٣٣١.

(٤) سورة البقرة: الآية رقم (١٨٥).

(٥) سورة الحج: الآية رقم (٧٨).

بهمة إن هَمّت ولا بوسوسة إن عرضت لها ولا بخطرة إن خطرت بقلبها»[١].

● لطيفة :

في هذه الجملة تشريع من الله تعالى للأمّة بأن ليس لأحدٍ أن يكلّف أحداً إلاّ بما يستطيعه[٢]. ولذلك يقال في المثل: إذا أردت أن تطاع فأمر بما يستطاع.

● قصّـــة:

أورد القرطبي رحمه الله تعالى في تفسيره قصة لطيفة في معنى هذه الجملة الكريمة عن الصحابي الجليل أبي هريرة رضي الله عنه أنّه قال: ما وددتُ أنّ أحداً ولدتني أمّه إلاّ جعفر بن أبي طالب، فإني تبعته يوماً وأنا جائع فلمّا بلغ منـــزله لم يجد فيه سوى نِحْي (زقّ) سمن قد بقي فيه أثارة (بقية) فشقّه بين أيدينا، فجعلنا نلعق ما فيه من السمن والرُبّ (الطلاء الخاثر) وهو يقول:

ما كلّف الله نفساً فوق طاقتها ولا تجـــود يدٌ إلا بما تجدُ [٣]

## المطلب الثالث: بيان قوله تعالى ﴿لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت﴾

في هذه الجملة الكريمة ترغيب في المحافظة على مواجب التكليف وترهيب وتحذير عن الإخلال بها، ذلك أنّ الله تعالى بيّن فيها أنّ تكليف كلّ نفس مع مقارنته لنعمة التخفيف والتيسير – الدالّ عليها في الجملة السابقة – تتضمّن مراعاة منفعة زائدة وأنّها تعود إليها لا إلى غيرها، ويستتبع الإخلال مضرّة تحيق بها لا بغيرها، فإن اختصاص منفعة الفعل بفاعله هو من أقوى الدواعي إلى تحصيله، واقتصار مضرّته عليه من أشدّ الزواجر عن مباشرته. فالمراد من هذه

(١) تفسير الطبري: ج٣ ص ١٠٣.

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور: ج٢ ص ٤٣٣.

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ج٣ ص ٤٢٩ – ٤٣٠.

الجملة الكريمة – على ما سبق ذكره – أنّ لكلّ نفس ثواب ما عملت من الخير الذي كلّفت فعله لا لغيرها، وعليها لا على غيرها عقاب ما عملت واجترحت من الشرّ الذي كلّفت تركه [1]. وفي هذا ما رواه ابن جرير الطبري بسند صحيح عن قتادة أنّه قال: ﴿لها ما كسبت﴾ أي من خير و ﴿عليها ما اكتسبت﴾ أي من شرّ، أو قال: من سوء[2] .

● فوائد ولطائف:

الأولى: استنتج القرطبي – رحمه الله تعالى – على أنّ في هذه الجملة الكريمة دليلاً على صحة إطلاق الكسب والاكتساب على أفعال العباد. ولذلك قال أيضاً أنّه لم يطلق على ذلك لا خَلْق و لا خالق [3] .

الثانية: في تقدّم (لها) و(عليها) على الفعلين (كسبت) و(اكتسبت) إفادة للقصر في هذا المقام، أي أنّ ذلك لها لا لغيرها وعليها لا على غيرها [4]. وهذا متوافق لدلالة اللام على النفع له؛ ودلالة (على) على الضرّ عليه. وفي هذا قال أبو حيان: ((وجاءفي الخير باللام لأنّه مما يفرح به ويسرّ فأضيف إلى ملكه، وجاء في الشر بـــ (على) من حيث هو أوزار وأثقال فجعلت قد علته وصار تحتها يحملها))[5] وأوجز الصاوي حيث قال: ((عبّر في جانب الخير باللام وفي جانب الشر بعلى لأنّ اللام للمسرّة وعلى للمضرّة))[6] .

(١) انظر: تفسير الطبري ج٣ ص١٠٢؛ تفسير أبي السعود ج١ ص ٢٧٧؛ فتح القدير للشوكاني ج١ ص٣٨٤.

(٢) انظر: تفسير الطبري ج٣ ص١٠٢-١٠٣.

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج٣ ص٤٣١.

(٤) انظر:زاد المسير لابن الجوزي ج١ ص٣٤٦؛ تفسير الآلوسي ج٣ ص٧٠؛ فتح القدير ج١ ص٣٨٤.

(٥) البحر المحيط لأبي حيان: ج١ ص ٣٦٧.

(٦) حاشية الصاوي على الجلالين: ج١ ص١٣٧.

الثالثة: الإتيان بـــ (ما) في قوله تعالى ﴿لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت﴾ لإفادة الشمول لكلِّ جزء من أجزاء المكسوب أو المكتسب للنفس سواء كان ذلك عن طريق الاستقلال بذاتـــها أو الاشتراك مع غيرها[١] .

الرابعة: جاء التعبير في شأن الخير والطاعة بفعل (كسب) وفي شأن الشر والمعصية بفعل (اكتسب)؛ ذلك أنّ الحسنات هي مما تكتسب دون تكلّف، إذ النفس مجبولة على فعل الخير والطاعة ولا تتكلّف فيه خرق حجاب فهي الله تعالى؛ أمّا السيئات فجيء بفعل الاكتساب الذي فيه اعتمال ومبالغة، وذلك لأن كاسبها يتكلّف في أمرها ويجدّ في تحصيلها والوصول إليها، فحَسُن في هذه الجملة الكريمة مجيء التصريفين إحرازاً لهذا المعنى [٢].

وفي هذا قال المراغي: «وأضيف الاكتساب إلى الشرّ لبيان أنّ النفس مجبولة على فعل الخير، وتفعل الشرّ بالتكلّف والتأسّي، إذ الميل إلى الخير مما أودع في طبع الإنسان ولا يحتاج إلى مشقة في فعله كما يشعر بالميل إلى عبادة الله لأنّ شكر المنعم مغروس في طبعه، وأمّا الشرّ فإنّه يعرض للنفس لأسباب ليست من طبيعتها ولا من مقتضى فطرتـــها ولا يخفى عليها إذ ذاك أنّـــها ممقوتة في نظر الناس وأنـــها مهينة في قرارة نفوسهم»[٣].

أقول: ويؤخذ من هذا التعليل إشارتان: الأولى: كرم الله وتفضّله على خلقه حيث أثابهم على فعل الخير من غير جدٍّ واعتمال؛ ولم يؤاخذهم على فعل الشر إلا بالجدّ والاعتمال. والثانية: أنّ على النفس التـــزام شرع الله تبارك

(١) انظر: تفسير أبي السعود ج١ ص ٢٧٧.

(٢) انظر: تفسير البحر المحيط ج١ ص٣٦٧؛ تفسير القرطبي ج٣ ص ٤٣١؛ تفسير الآلوسي ج٣ ص٧٠؛ تفسير البيضاوي ج١ ص٢٧٣؛ حاشية الجمل على الجلالين ج١ ص٢٣٨؛ حاشية الصاوي على الجلالين ج١ ص١٣٧؛ تفسير المنار ج٣ ص ١٤٦.

(٣) تفسير المراغي: ج٣ ص٨٦.

وتعالى لأنّ فيه السعادة والراحة والطمأنينة لها، وعليها البعد عن السيئات والمعاصي لأنّ في تحصيلها العناء والتعب والجهد والقلق وتكليف النفس بما فيه خسارتـــها وانحطاطها في الدنيا والآخرة .

الخامسة: وتدلّ هذه الجملة الكريمة بغاية الوضوح على أنّ الإنسان مرهَن بعمله، أوما يسميه البعض بفردية التبعة، فلا تجزى نفس إلا بما قدمت من الخير؛ ولا تحمل ولا تزر عليها إلا ما قدّمت من السوء والشر، فترجع إلى ربها وقد وجدت صحيفتها الخاصة بها مقيّداً فيها ما لها وما عليها ﴿وأن ليس للإنسان إلا ما سعى. وأنّ سعيه سوف يرى. ثم يجزاه الجزاء الأوفى﴾ [1]. وبهذه الجملة يستشعر المؤمن مسؤوليته عن تصرفاته صغيرها وكبيرها وأنّه مجازى عليها بخيرها وشرّها .

السادسة: من البلاغة القرآنية في هذه الجملة الكريمة أسلوب المقابلة، فقد طابق النصّ بين (لها) و (عليها) وبين (كسبت) و (اكتسبت)[2] .

## المطلب الرابع:

## في بيان قوله تعالى: ﴿ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا﴾

هذه الجملة الكريمة استئناف في ذكر بقية دعوات المؤمنين الذين قالوا من قبل سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير، وذلك بعد بيان الله تعالى لشأنه وحكمه في تكليفهم، وهي تصوير لحالتهم معه – عزوجل– مع ما بعدها من الدعوات في إدراكهم لضعفهم وعجزهم وحاجتهم إلى رحمته ومغفرته وعفوه وعونه والتجائهم إلى كنفه وحماه وانتسابهم إليه وتجرّدهم من كل من عداه.. وبهذا التصوير والوصف فإنّه تعالى يعلّم عباده المؤمنين كيف يدعونه وما يقولونه في

(١) سورة النجم: الآيات (٣٩، ٤٠، ٤١).

(٢) إعراب القرآن الكريم وبيانه لمحي الدين الدرويش: ج٣ ص٤٥١.

دعائهم له، ولا ريب أنّ في هذا التعليم الإلهي رحمة منه تعالى بهم وفضلاً وكرماً، فهو سبحانه لم يأمرهم بالدعاء فقط ﴿وقال ربكم ادعوني أستجب لكم﴾[١]، بل يتكرّم عزوجلّ أيضاً بأن يعلّمهم جُمَل دعائه وطريقة دعائه وهذا التعليم أيضاً يشير إلى أنّه سبحانه يحبّ أن يُدعى بهذه الدعوات لكونه الدالّ عليها، ومثلها مثل العديد من الدعوات التي جاءت في القرآن الكريم يعلّمها الله تعالى لعباده، ولذلك فإنّ أفضل الدعاء ما أخبر عنه بكلامه عزّ من قائل متكلّم سبحانه .

وافتتحت هذه الجملة من الدعاء بقولهم (ربنا) إيذاناً منهم بأنهم يرغبون ويطلبون من ربهم الذي هو مربّيهم ومصلح أحوالهم وهم مُقِرُّون بأنـــهم مربوبون داخلون تحت رقّ العبودية له والافتقار إليه تعالى [٢]. فهو إشعار منهم بعبوديّتهم له وافتقارهم إليه وذلّهم بين يديه؛ وأنه هو الغنيّ عنهم والمتفضّل عليهم بربوبيته لهم ورعايته لما يصلحهم في أمور دينهم ودنياهم وآخرهم .

وقولهم (لاتؤاخذنا) أي لا تعاقبنا؛ إذ إنّ المؤاخذة هي المعاقبة، من الأخذ؛ لأنّ من يراد عقابه يؤخذ بيد القهر، ويدلّ على هذا المعنى قوله تعالى ﴿فكلاً أخذنا بذنبه.. ﴾ الآية [٣]، وقوله تعالى أيضاً: ﴿ولويؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة.. ﴾ الآية [٤]. وقوله تعالى كذلك: ﴿ولويؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة...﴾ الآية[٥]. وغير ذلك من الآيات التي جاءت في القرآن في معنى المؤاخذة بأنّـــها المعاقبة[٦] .

(١) سورة غافر: الآية (٦٠).

(٢) انظر: البحر المحيط لأبي حيان ج٣ ص٣٦٧.

(٣) سورة العنكبوت: الآية (٤٠).

(٤) سورة فاطر: الآية (٤٥).

(٥) سورة النحل: الآية (٦١).

(٦) انظر:لسان العرب لابن منظور ج٣ ص٤٧٣؛ تفسير المنار لمحمد رشيد رضا ج٣ ص ١٤٩.

**ولسائل أن يسأل ما وجه مجيء ﴿لاتؤاخذنا﴾ بلفظ المفاعلة مع أنّ الأخذ بالذنب صادر عن فاعل واحد وهو الله عزّوجلّ؟ وقد أجيب على هذا السؤال من وجهين: أحدهما: أنّ المذنب قد أمكن من نفسه، وكان سبباً في عقابها بفعله الذنب وظلمه لها، فصار بذلك مع من يعاقبه بذنبه كالمعين له في عقابه نفسه فحَسُنت المفاعلة. وثانيهما: أنّ الله تعالى يأخذ المذنب بالعقوبة، والمذنب كأنّه يأخذ ربّه سبحانه بالمطالبة بعفوه ورحمته وكرمه؛ إذ لايجد من يخلِّصه من عذابه إلا هو، فيتمسّك العبد عند الخوف منه تعالى به، فلمّا كان كلّ واحد منهما يأخذ الآخر عُبِّر عنه بلفظ المؤاخذة التي تقتضي المفاعلة من الطرفين**(١) .

**وقولهم (إن نسينا أو أخطأنا) معناه أنهم يدعونه تعالى أن لا يعاقبهم إن تركوا**(٢) **عملاً من الأعمال التي فرضها عليهم فلم يعملوه أو أخطأوا في فعل شيء نهوا عن فعله بغير قصد منهم وإصرار على معصيته عزوجلّ والخروج عن أمره وتعدّي حدوده؛ بل عن جهالة منهم وغلبة هوى بسبب ضعف بشري**(٣).

---

(١) انظر: التفسير الكبير للفخر الرازي ج٧ ص١٤٤؛ غرائب القرآن للنيسابوري ج٣ ص١٠٩؛ حاشية الجمل على الجلالين ج١ص٢٣٨.

(٢) المراد بالنسيان هنا الترك، وهو أحد معنييه الذي جاء به القرآن الكريم، وأمثلته متعددة مثل قوله تعالى ﴿**نسوا الله فنسيهم**﴾ التوبة: ٦٧ أي تركوا الله فتركهم، فلما كان النسيان ضرباً من الترك وضع موضعه، ومثله أيضاً ﴿**كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى**﴾ طه: ١٢٦، ومثله كذلك ﴿**فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا**﴾ الأعراف: ٥١. انظر: لسان العرب لابن منظور ج١٥ ص٣٢٢-٣٢٣.

(٣) انظر: تفسير الطبري ج٣ ص١٠٤، النكت والعيون للماوردي ج١ ص ٣٠٠؛ زاد المسير لابن الجوزي ج١ ص٣٤٧؛ غرائب القرآن للنيسابوري ج٣ ص١٠٩-١١٠؛ فتح القدير للشوكاني ج١ ص٣٨٤.

● لطيفتان:

الأولى: لعلّ في إيراد الشرط بـــ (إن) إيذاناً بأنّ هذا خلاف ما ينبغي أن يكون عليه المؤمن وأنّه لايقع إلا قليلاً [١] .

الثانية: إنّ في حكاية هذا الدعاء وما بعده بصيغة الجمع بياناً بأنّه إذا اجتمعت النفوس والهمم على شيء كان حصوله وإجابته أكمل وأرجى[٢].

## المطلب الخامس:

### بيان قوله تعالى: ﴿ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا﴾

تبتدئ هذه الجملة الكريمة كسابقتها؛ إذ يكرّر النداء من المؤمنين بقولهم (ربنا)؛ وإن كان حرف النداء يقتضي العطف على ما قبله من الدعاء. وفي هذا التكرار إظهار لمزيد التضرّع واللجوء إلى الله تعالى من جهة، وتنويه بعظم مقام الربوبية لله تعالى في حسن التربية وكمال الإحسان والرّأفة من جهة أخرى[٣].

وهم يسألون الله – عزّوجلّ– ههنا أن لا يأخذ ويحمل عليهم عهداً ثقيلاً فيعجزون عن القيام به ولا يستطيعونه كما حمله على اليهود والنصارى الذين أخذت عهودهم ومواثيقهم على القيام بأعمال وتكاليف شاقّة وصعبة فلم يقوموا بها فعوجلوا بالعقوبة .

وهذا المعنى هو الذي قال به عمدة المفسرين الإمام ابن جرير الطبري وأكثر المفسرين من بعده، وهو الراجح، وبه ثبتت الرواية عن ابن عباس رضي

(١) تفسير المنار لمحمد رشيد رضا: ج٣ ص ١٥٠.

(٢) انظر: التفسير الكبير للفخر الرازي ج٧ ص ١٤٩؛ غرائب القرآن للنيسابوري ج٣ ص١١٢.

(٣) انظر: نظم الدرر للبقاعي ج١ ص ٥٥٨؛ حاشية الجمل على الجلالين ج١ ص ٢٣٩؛ فتح القدير للشوكاني ج١ ص ٣٨٥.

الله عنهما ومجاهد والضحاك والسدّي وابن جريج والزجاج وغيرهم[1]، ذلك أنّ الإصر في اللغة هو الثقل والشّدة. قال النابغة:

يا مانع الضَيْم أن يغشى سراتهم  والحامل الإصر عنهم بعد ما عزموا

فهو العبء الثقيل الذي يأصر صاحبه أي يحبسه مكانه لايستقلّ به لثقله، ثمّ سُمي العهد إصراً لثقله وشدّته وعظم ميثاقه، ومنه قوله تعالى ﴿قال ءأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري﴾ [2] أي عهدي وميثاقي، ومنه أيضاً قوله تعالى ﴿ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم﴾ [3]. قال الراغب: «أي الأمور التي تثبطهم وتقيّدهم عن الخيرات وعن الوصول إلى الثوابات، ثم قال: والإصر العهد المؤكّد الذي يثبّط ناقضه عن الثواب والخيرات»[4].

وبهذا يتبيّن أنّ أنسب وأرجح ما يقال في معنى الإصر ههنا هو ما ذكرته. ولله الحمد والمنّة.

وقوله تعالى ﴿كما حملته على الذين من قبلنا﴾ هو في حيّز النصب على أنّه صفة لمصدر محذوف، أي حملاً مثل حملك إيّاه على من قبلنا. أو على أنّه صفة لإصراً، أي إصراً مثل الإصر الذي حملته على من قبلنا. ومن أمثلة ما حُمِل على من قبلنا قطع موضع النجاسة من الثوب دون غسلها، وفرض خمسين صلاة في

(١) انظر: تفسير الطبري ج٣ ص ١٠٤؛ الكشاف للزمخشري ج١ ص ١٧٢؛ الدر المنثور للسيوطي ج٢ ص ١٣٥؛ تفسير القرطبي ج٣ ص ٤٣٢، زاد المسير لابن الجوزي ج١ ص ٣٤٧؛ التفسير الكبير للفخر الرازي ج٧ ص ١٤٦؛ فتح القدير للشوكاني ج١ ص ٣٨٥.

(٢) سورة آل عمران: الآية (٨١).

(٣) سورة الأعراف: الآية (١٥٧).

(٤) المفردات للراغب الأصفهاني ص ١٩، وانظر: لسان العرب لابن منظور ج٤ ص ٢٢؛ الكشاف للزمخشري، ج١ ص ١٧٢؛ تفسير القرطبي ج٣ ص ٤٣٢؛ التفسير الكبير للفخر الرازي ج٧ ص ١٤٦.

اليوم والليلة، وصرف ربع المال للزكاة، وتحريم بعض ما كان حلالاً لهم من الطعام بسبب الإتيان بالخطيئة كما قال تعالى ﴿فبظلم من الذين هادوا حرّمنا عليهم طيبات أحلت لهم...﴾ الآية [١]. وغير ذلك [٢].

● لطيفة:

في قوله عزّ وجلّ ﴿كما حملته على الذين من قبلنا﴾ تعظيم للمنّة من الله تعالى على عباده المؤمنين؛ إذ في هذه الجملة تأكيدٌ لما يحمل على الشكر في تخفيف ذلك عنهم؛ وأنه قد كان من الجائز أن يحمل عليْهم الإصر كما حمله على الذين من قبلهم [٣]، ولله الحمد والمنّة .

## المطلب السادس: بيان قوله تعالى ﴿ربنا ولا تحمّلنا ما لا طاقة لنا به﴾

وهذا الدعاء الكريم مثل سابقيه يبتدئ بنداء المؤمنين لربهم سبحانه بقولهم (ربنا)، وإعادته وتكراره للنكتة التي بينتها فيما قبل. والواو بعد قولهم (ربنا).

هي لعطف هذا الدعاء على ما قبله بإلحاقه بمعناه من مسألتهم التيسير، فيحتمل أن يكون تقريراً لسؤالهم أن لا يحمل عليهم إصراً كما حمله – سبحانه – على الذين من قبلهم، وذلك بأنّهم يسألونه أن لا ينـــزل بهم من العقوبات والبلاء؛ فهو استعفاء عن العقوبات التي لا تطاق بعد الاستعفاء عمّا يؤدي إليها التفريط فيه من التكاليف الشاقة التي لا يكاد من كُلِّفها يخلو عن التفريط فيها، كأنّه قيل: لا تكلفنا تلك التكاليف ولا تعاقبنا بتفريطنا في المحافظة عليها، وبهذا –أيضاً–يكون التعبير عن إنـــزال العقوبات بالتحميل باعتبار ما يؤدي إليها.

---

(١) سورة النساء: الآية (١٦٠).

(٢) انظر: تفسير أبي السعود ج١ ص ٢٧٧.

(٣) انظر: نظم الدرر للبقاعي ج١ ص ٥٥٨.

ويحتمل أن يكون هذا الدعاء تأكيداً لسابقه بتصوير الإصر بصورة ما لا يستطاع مبالغة [1] .

أقول: ولا مانع من اشتمال هذا الدعاء على الأمرين كليهما إذ هما يدخلان في عموم ما لا يطاق. والله أعلم بمراده .

● فوائد ولطائف :

الأولى: روي عن قتادة في قوله تعالى ﴿ربنا ولاتحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا﴾ قال: كم من تشديد كان على من كان قبلنا. وفي قوله ﴿ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به﴾ قال: كم من تخفيف ويسر وعافية في هذه الأمّة [2] .

الثانية: عُبِّر بالتفعيل في قوله (ولا تحمِّلنا) لتعدية الفعل إلى مفعول ثاني؛ وبما يقتضيه المقام لما فيه بما يفهم من العلاج من مناسبة التكليف بما لا يطاق[3].

## المطلب السابع: بيان قوله تعالى: ﴿واعف عنا واغفر لنا وارحمنا﴾

تتمة لدعاء المؤمنين وطمعاً منهم في مزيد فضله وكرمه وإحسانه –عزّوجلّ – بهم قالوا (واعف عنا واغفر لنا وارحمنا). وأرادوا بالعفو الصفح عمّا ارتكبوه من الذنوب وإسقاط العقاب بسببها عنهم، ثمّ طلبوا المغفرة وهي ستره عليهم وعدم فضحهم بتلك الذنوب على رؤوس الأشهاد صوناً لهم من عذاب التخجيل، وذلك لأنّ العفو عن الشيء لايقتضي ستره، ولايطيب العفو إلا بترك الفضيحة، فبالعفو يُتخلّص من العذاب الجسدي و بالمغفرة يتخلّص من العذاب النفسي .

---

(١) انظر: تفسير الطبري ج٣ ص ١٠٥؛ تفسير أبي السعود ج١ ص ٢٧٧؛ تفسير البيضاوي ج١ ص ٢٧٤.

(٢) الدر المنثور للسيوطي: ج٢ ص ١٣٥.

(٣) نظم الدرر للبقاعي: ج١ ص ٥٦٠.

ومن بعد المغفرة سألوا الرحمة منه – سبحانه – وهو غاية الإحسان منه، وهم بهذا السؤال طلبوا إفاضة الخير عليهم في الدنيا والآخرة إذ هو – عزّوجلّ– رحمان الدنيا والآخرة ورحيمهما [١] .

وفي هذا المعنى قال الراغب الأصفهاني: «العفو إزالة الذنب بترك عقوبته، والغفران ستر الذنب وإظهار الإحسان بدله، فكأنّه جمع بين تغطية ذنبه وكشف الإحسان الذي غطى به، والرحمة إفاضة الإحسان إليه، فالثاني أبلغ من الأول والثالث أبلغ من الثاني» [٢] .

● لطيفـــتان:

الأولى: يلاحظ أنّه لم يفتتح الدعاء في هذه الجملة الكريمة بالنداء بقولهم (ربنا) كما في الأدعية الثلاثة السابقة، ولقد أشار الفخر الرازي إلى سبب ذلك حيث قال: «إنّ النداء إنـــما يحتاج إليه عند البعد، أمّا عند القرب فلا، وإنّـــما حذف النداء إشعاراً بأنّ العبد إذا واظب على التضرّع نال القرب من الله تعالى، وهذا سرٌّ عظيم يطلع منه على أسرار أخرى» [٣] .

الثانية: في تقديم طلب العفو والمغفرة على طلب الرحمة – مع ما سبق وذكرته من قبل – قال أبو السعود: «تقديم طلب العفو والمغفرة على طلب الرحمة لما أنّ التحلية سابقة على التحلية» [٤] .

---

(١) انظر: تفسير الطبري ج٣ ص ١٠٥؛ البحر المحيط لأبي حيان ج١ ص ٣٧٠؛ غرائب القرآن للنيسابوري ج٣ ص ١١٢ – ١١٣؛ حاشية الجمل على الجلالين ج١ ص ٢٣٩؛ فتح القدير للشوكاني ج١ ص ٣٨٥.

(٢) البحر المحيط لأبي حيان: ج١ ص ٣٧٠.

(٣) التفسير الكبير للفخر الرازي: ج٧ ص ١٤٩ – ١٥٠ وانظر غرائب القرآن: ج٣ ص ١١٢-١١٣.

(٤) تفسير أبي السعود: ج١ ص ٢٧٧.

## المطلب الثامن:

## بيان ختام الآية بقوله تعالى ﴿أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين﴾

وهذه الجملة الكريمة هي الختام لخواتيم سورة البقرة، ولقد ابتدأت بقول المؤمنين وهم يخاطبون ربهم – عزّوجلّ– بعد تلك الدعوات المباركات: ﴿أنت مولانا[1]﴾، وهو خطاب بكلام يدلّ على نهاية خضوعهم لله تعالى وتذلّلهم واعترافهم بأنه – سبحانه – هو المتولّي لكلّ نعمة يصلون إليها وهو المعطي لكلّ مكرمة يفوزون بها، وهو أيضاً وليّهم الذي يلوذون به ويلتجأون إليه ويتوكلون عليه في كلّ مهمّاتهم وأمورهم وإصلاح شؤونهم. ومن أعظم ما يكون من أمورهم وشؤونهم وبه صلاح دينهم ودنياهم وآخرتهم هو الظفر على الكافرين أعدائه وأعداء دينه، ولذلك هم يُتبِعون خطابهم له – وهو نعم المولى ونعم النصير – بطلب الظفر على الكافرين ﴿فانصرنا على القوم الكافرين﴾، ومن حقّ المولى أن ينصر من يتولاه ويجيره ويحوطه بعنايته ويكلأه برعايته [2] .

وعلى هذا المعنى فإنّ (الفاء) في قوله ﴿فانصرنا﴾ للتعليل، فالجملة مسوقة لتعليل ما تقدّم، فإنّ كونه – عزّوجلّ– مولى الذين آمنوا سبب لطلب نصرتهم منه تعالى [3] . وهكذا فقد جاء الختام شاهداً على أسمى ما يحمله المؤمنون في

(١) المولى: مفعل من ولي يلي، وهو هنا مصدر يراد به الفاعل، ويجوز أن يكون على حذف مضاف، أي: صاحب تولينا أي نصرتنا. (حاشية الجمل على الجلالين: ج١ ص ٢٣٩؛ وانظر: لسان العرب ج١٥ ص٤٠٦-٤٠٨).

(٢) انظر: تفسير الطبري ج٣ ص ١٠٧؛ الكشاف للزمخشري: ج١ ص ١٧٣؛ تفسير أبي السعود ج١ ص ٢٧٧؛ فتح القدير للشوكاني: ج١ ص ٣٨٥.

(٣) انظر: البحر المحيط لأبي حيان: ج١ ص ٣٧٠؛ تفسير الآلوسي: ج٣ ص٧١، حاشية الجمل على الجلالين: ج١ ص ٢٣٩؛ إعراب القرآن للدرويش ج١ ص ٤٥٠.

قلوبهم من الرغبة الصادقة في إعلاء كلمة الله تعالى وتمكين أمر دينه على هذه الأرض لما يتبع ذلك من إقامة الحق واستقامة الخلق بما يحقق خيري الدنيا والآخرة.. وإنّـــما هو الجهاد ذروة سنام الإسلام الذي جعله الله طريق النصر والعزّة والكرامة للأمّة المؤمنة.. فما أعظمها من جملة ختمت بـــها سورة هي من أعظم سور القرآن الكريم .

هذا وقد روى الطبري بسنده أنّ معاذ بن جبل رضي الله عنه كان إذا فرغ من هذه السورة قال: آمين. وذلك لما حوته هذه الخواتيم من الدعاء. ولا ريب أنّ المؤمن يدعو الله تعالى بهذه الدعوات المباركة التي هي من أعظم ما جاء من أدعية القرآن الكريم .

● لطائف:

الأولى: قول المؤمنين (أنت مولانا) استئناف للكلام بمثابة الاعتراف بين يدي الله تعالى بأنّه المولى ولا مولى سواه، فهو تبرّء من ولاية كلّ أحد سواه.. اعتراف خضوع وذلّة.. وهو وسيلة لإجابة دعائـــهم فكأنّهم يقولون: أنت ولينا ولا مولى لنا سواك، ونحن عبيدك ونواصينا بيدك فتولّ أمرنا ولاتكلنا إلى أنفسنا طرفة عين .

الثانية: ذِكرُ لفظ (القوم) للتعميم؛ لأنّ النصر على الأفراد لايستلزم النصر على المجموع، فدفع ذلك الإيهام بذكر لفظ القوم [١] .

الثالثة: وفي مناسبة مجيء هذا الدعاء الكريم بعد قوله تعالى في الآية السابقة التي بدايتها ﴿لايكلّف الله نفساً إلا وسعها﴾ ذكر البقاعي كلاماً حسناً لطيفاً إذ قال: «ولمّا بشرهم بذلك عرّفهم مواقع نعمه في دعاء رتّبه على الأخفّ فالأخفّ على سبيل التعلّي إعلاماً بأنّه لم يؤاخذهم بما اجترحوه نسياناً ولابما قارفوه خطأً ولا

(١) انظر: حاشية الجمل على الجلالين ج١ص ٢٣٩؛إعراب القرآن وبيانه للدرويش:ج١ص ٤٥٠

حمل عليهم ثقلاً بل جعل شريعتهم حنيفية سمحاً ولا حمّلهم فوق طاقتهم مع أنّ له جميع ذلك، وأنه عفا عن عقابهم ثم سترهم فلم يخجلهم بذكر سيئاتهم ثم رحمهم بأن أحلّهم محلّ القرب فجعلهم أهلاً للخلافة، فلاح بذلك أن يعلي أمرهم على كلّ أمر و يظهر دينهم على كل دين إذ كان سبحانه هو الداعي عنهم، وليكون الدعاء كله محمولاً على الإصابة ومشمولاً بالإجابة»[1].

وبهذه اللطائف يتمّ حديثي عن خواتيم سورة البقرة وأسأل الله تعالى أن يمنّ عليّ وعلى المؤمنين كافة بفضله وكرمه، وأن يتقبل منا دعاءنا وصالح أعمالنا، وأن يحقق لنا عزاً ونصراً وتمكيناً إنّه وليّ ذلك والقادر عليه. آمين .

(١) نظم الدرر للبقاعي: ج١ ص ٥٥٧.

## الخاتمـــة

الحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، وبمنّته وكرمه وتوفيقه تكتمل المهمّات، وبعد:

فما أطيب الحياة وأكرمها مع كتاب الله عزّوجلّ، وما أسعد المؤمن وهو يعيش اللحظات تلو اللحظات متدبراً متأمّلاً خاشعاً لكلام الحقّ سبحانه وتعالى، يسعى في إظهار عظمته و سموّه وعلوّه على سائر الكلام .

– هذا وقد عشت لحظات مباركات مع خواتيم سورة البقرة ساعياً في إبراز فضلها وعظمتها وتميّزها؛ ومنقّباً عن فوائدها ولطائفها وما ترمي إليه .

– وحُقَّ لهذه الخواتيم أن تحظى بهذا الفضل الذي أخبر عنه رسول الله ﷺ، وهي قد جمعت في طيّاتها أركان الإيمان الحق والعقيدة الصحيحة؛ وبيّنت مكانة النبي ﷺ وصحبه الكرام رضي الله عنهم في اعتناقهم هذا الدين العظيم، فهم أهل الحقّ وقدوة الخلق.. إيماناً وطاعة لله تبارك وتعالى.. وكيف لا تتميّز هذه الخواتيم وقد أظهرت فضل الله ومنّته ونعمته على عباده بتشريع هذه الملّة الحنيفية السّمحة التي لا حرج ولا عنت في تكاليفها على أهلها ... وكيف لا تتميّز وقد حوت في جنباتـــها دعوات خاشعات مباركات كريمات شملت خير الدين والدنيا والآخرة ... كيف لا وهي ترتفع بالمؤمن من سفاسف هذه الدنيا وشهواتـــها إلى آمال وآفاق سامية من نصرة دين الله تعالى وإعلاء كلمته وطلب عفوه ومغفرته ورحمته.. فالله الله في هذه الخواتيم.. وإنّي لأدعو في هذه الخاتمة كلّ مؤمن بالله أن يديم قراءتـــها وتدبّرها وأن يدعو بدعائها وأن يسعى بالعمل لما تدعو إليه في كلماتـــها من التوجّه والتجرّد لله تعالى وإخلاص الإيمان له والاستقامة على شرعه ونـــهجه والاقتداء برسوله ﷺ وصحبه الكرام رضي

الله عنهم.. علماً وعملاً ونصرة لهذا الدين العظيم بكل غالٍ ونفيس. .

وختاماً أرجو أن أكون قد وُفِّقْتُ في هذه الدراسة القرآنية سائلاً المولى سبحانه أن يغفر لي ما كان من خطأ أو تقصير وأن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم فيتقبله مني ويثيبني عليه. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على نبيّنا وسيّدنا محمد سيّد الأوّلين والآخرين وعلى آله وصحبه الطيّبين الطاهرين ومن اهتدى بهديه واستنّ بسنته إلى يوم الدين .

# فهرس المراجع


١. إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: أبو السعود: محمد بن محمد العمادي. ٩ج. بيروت – لبنان: دار إحياء التراث العربي .

٢. إرشاد الساري شرح صحيح البخاري: القسطلاني أبو العباس شهاب الدين أحمد بن محمد. ١٠ج. بيروت – لبنان دار إحياء التراث العربي.

٣. أسد الغابة في معرفة الصحابة: ابن الأثير الجزري، أبو الحسن علي بن محمد. ٥ج، دار الفكر .

٤. إعراب القرآن الكريم وبيانه: الدرويش، محي الدين، الطبعة الثانية، ٩ ج، دار الرشيد – مؤسسة الإيمان، ١٤٠٣هـ .

٥. إكمال إكمال المعلم: الوشتاني، أبو عبد الله محمد بن خلفة الأبي المالكي.

٦. أنوار التنـــزيل وأسرار التأويل: البيضاوي، ناصر الـــدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي. ٥ج. بيروت: مؤسسة شعبان للنشر والتوزيع .

٧. تبصير الرحمن وتيسير المنّان: المهايمي، علي بن أحمد بن إبراهيم، الطبعة الثانية. ٢ج. بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٣هـ /١٩٨٣م .

٨. تفسير البحر المحيط: أبو حيان، محمد بن يوسف الأندلسي الغرناطي، الطبعة الثانية. ٨ج. بيروت: دار الفكر، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م .

٩. تفسير التحرير والتنوير: ابن عاشور، محمد الطاهر. ٣٠ج. تونس: الدار التونسية للنشر، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب ١٩٨٤م .

١٠. تفسير القرآن العظيم: أبو الفـــــداء، إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي. ٤ج. بيروت: دار المعرفة، ١٤٠٥هـ .

١١. تفسير المراغي، أحمد مصطفى. ٢٠ج. بيروت: دار إحياء التراث العربي .

١٢. تفسير المنار: رضا، محمد رشيد. الطبعة الثانية. ١٢ج. بيروت: دار المعرفة

١٣. تفسير النسفي، عبد الله بن أحمد بن محمود. الطبعة الأولى. ٢ج. بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م .

١٤. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان: السعدي، عبد الرحمن بن ناصر. تحقيق: محمد زهري النجار. ٧ج. الرياض: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء

والدعوة والإرشاد، ١٤٠٤هـ .

١٥. جامع البيان في تفسير القرآن: الطبري، محمد بن جرير. ٣٠ ج. بيروت: دار المعرفة، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

١٦. الجامع لأحكام القـــرآن: القرطبي، أبو عبـــد الله محمد بن أحمد الأنصاري. الطبعة الثانية. ٢٠ج. بيروت: دار الكتاب العربي .

١٧. الجواهر الحسان في تفسير القرآن: الثعالبي، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف. ٤ج. بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات .

١٨. حاشية الجمل على تفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية): العجيلي الشافعي، سلمان بن عمر، الشهير بالجمل. ٤ج. بيروت – لبنان: دار إحياء التراث الغربي .

١٩. حاشية الصاوي على تفسير الجلالين: الصاوي، أحمد بن محمد. ٤ج. بيروت: دار إحياء التراث العربي .

٢٠. حجة القراءات: ابن زنجلة، أبو زرعة عبد الرحمن بن محمد. حققه وعلّق عليه: سعيد الأفغاني. الطبعة الثانية. بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٣٩٩هـ /١٩٧٩م .

٢١. الدر المنثور في التفسير المأثور: السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن. ٨ ج، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ، بيروت: دار الفكر .

٢٢. روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني:الآلوسي، أبو الفضل، شهاب الدين السيد محمود. ٣٠ج. بيروت: دار إحياء التراث العربي .

٢٣. زاد المسير في علم التفسير:ابن الجوزي، أبو الفرج جمال الدين عبدالرحمن ابن علي بن محمد. الطبعة الثالثة. ٩ج. دمشق – بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٤هـ .

٢٤. سلسلة الأحاديث الصحيحة: الألباني، محمد ناصر الدين، الطبعة الرابعة. ٢ ج. بيروت – دمشق: المكتبة الإسلامي، ١٤٠٣هـ .

٢٥. سنن أبي داود: أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي. إعداد وتعليق: عزت عبيد الدعاس – عادل السيد. الطبعة الأولى. ٥ج. سوريا – لبنان: دارالحديث، ١٣٨٨هـ .

٢٦. سنن الترمذي: الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة. تحقيق أحمد محمد شاكر – محمد فؤاد عبد الباقي – إبراهيم عطوه عوض. ٥ج. بيروت: دار إحياء التراث العربي .

٢٧. السنن الكبرى: النساي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب، ١٢ج، الطبعة الأولى ١٤٢٢ – ٢٠٠١، تحقيق حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة

٢٨. صحيح مسلم بشرح النووي: القشيري، مسلم بن الحجاج – النووي، يحيى بن شرف، تحقيق وإشراف: عبد الله أحمد أبو زينة. ٥ج. القاهرة. كتاب الشعب .

٢٩. صحيح مسلم بشرح النووي (دار الفكر – الطبعة الثالثة ١٣٩٨هـ – ١٩٧٨م) .

٣٠. عمدة القارئ شرح صحيح البخاري: العيني، بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد. الطبعة الأولى. ٢٠ ج. مصر: شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٩٢هـ .

٣١. غرائب القرآن ورغائب الفرقان: النيسابوري، نظام الدين بن محمد ابن حسين القمي. تحقيق: إبراهيم عطوة عوض. الطبعة الأولى. ٣٠ج. مصر: شركة ومكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده .

٣٢. فتح الباري شرح صحيح البخاري: ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي. ١٣ ج. الرياض: مكتبة الرياض الحديثة .

٣٣. فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن: الأنصاري، أبو يحيى زكريا. تحقيق: محمد علي الصابوني. الطبعة الأولى. بيروت: دار القرآن الكريم، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م .

٣٤. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير: الشوكاني، محمد بن علي. تحقيق: عبد الرحمن عميرة – الطبعة الأولى. ٦ج، مصر: دار الوفاء، ١٤١٥هـ .

٣٥. فتح الملهم شرح مسلم: الديوبندي العثماني، فضل الله شبير أحمد، باكستان: المكتبة الرشيدية .

٣٦. الكشف عن وجـــوه القراءات السبع وعللها وحججها: القيسي، مكي بن أبي طالب. ٢ج. تحقيق: محي الدين رمضان. الطبعة الرابعة ١٤٠٧هـ–١٩٨٧م. بيروت: مؤسسة الرسالة .

٣٧. الكشاف عن حقائق التنـــزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمد بن عمر. ٤ج. بيروت: دار المعرفة .

٣٨. لباب التأويل في معاني التنـــزيل: الخازن، علاء الدين علي بن محمد ابن إبراهيم البغدادي: ٧ج. بيروت: دار الفكر، ١٣٩٩هـ .

٣٩. لسان العرب: ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم. ١٥ج. بيروت: دار الفكر – دار صادر .

٤٠. محاسن التأويل: القاسمي، محمد جمال الـــدين، علق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي. الطبعة الثانية ١٧٠ج. بيروت: دار الفكر، ١٣٩٨هـ .

٤١. مختصر سنن أبي داود: الحافظ المنذري، عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله بن سلامة بن سعد. تحقيق: أحمد محمد شاكر – محمد حامد الفقي. ٨ ج. بيروت – لبنان:دارالمعرفة، ١٤٠٠هـ –١٩٨٠م .

٤٢. معالم التنـــزيل: البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء. تحقيق: خالدعبد الرحمن العك – مروان سوار. ٤ج. بيروت: دار المعرفة. الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م .

٤٣. معاني القرآن: الفرّاء، أبو زكريا يحيى بن زياد. الطبعة الثالثة. ٢ ج. بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٣هـ .

٤٤. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: وضعه محمد فؤاد عبد الباقي. بيروت: دار المعرفة. الطبعة الرابعة ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م .

٤٥. مفاتيح الغيب (التفسير الكبير): الفخر الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن حسين . الطبعة الثالثة . ٣٠ج . بيروت: دار إحياء التراث العربي .

٤٦. المفردات في غـــريب القرآن: الـــراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد. تحقيق: محمد سيد كيلاني. بيروت: دار المعرفة .

٤٧. المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم: القرطبي، أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم. دمشق – بيروت: دار ابن كثير – دار الكلم الطيب. حققه مجموعة من العلماء .

٤٨. موسوعة فضائل سور وآيات القرآن الكريم (القسم الصحيح): طرهوني، محمد بن رزق. ٢ج، جدة: مكتبة العلم، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ .

٤٩. النشر في القراءات العشر: ابن الجزري، محمد بن محمد الدمشقي. أشرف على تصحيحه ومراجعته: علي محمد الضَّبَّاع. ٢ج. بيروت – لبنان: دار الكتب العلمية .

٥٠. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: البقاعي، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر. الطبعة الأولى. ٨ج. بيروت– لبنان: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ .

٥١. النكت والعيون: الماوردي، أبو الحسن علي بن حبيب. تحقيق: خضر محمد خضر. راجعه: عبد الستار أبو غدة. الطبعة الأولى، الكويت: طباعة مقهوى. وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية. التراث الإسلامي، ١٤٠٣هـ .

# فهرس المحتويات

المقدّمة ..... ١٣
الفصل الأول: فضل خواتيم سورة البقرة ..... ١٤
المبحث الأول: مكان وزمان نزولها وإيتائها النبي ﷺ ..... ١٤
المطلب الأول: في إيتائها النبي ﷺ عند سدرة المنتهى ليلة المعراج..... ١٤
المطلب الثاني: في نزولها من كنـــز تحت العرش ..... ١٦
المطلب الثالث: في إنزالها من كتاب كتبه الله تعالى قبل خلق السموات والأرض..... ١٧
المطلب الرابع: في إرسال الله تعالى ملكاً للبشرى بها . ..... ١٧
المبحث الثاني: في أجر قارئها وثوابه ..... ٢٠
الفصل الثاني بيان خواتيم سورة البقرة..... ٢٢
المبحث الأول: سبب النّزول ..... ٢٢
المبحث الثاني: في المناسبة ..... ٢٥
المطلب الأول: مناسبتها للآية التي قبلها مباشرة ..... ٢٥
المطلب الثاني: مناسبة خواتيم سورة البقرة لفاتحتها . ..... ٢٦
المطلب الثالث: مناسبتها لعموم السورة..... ٢٧
المبحث الثالث: بيان الآية الأولى ..... ٢٩
المطلب الأول: بيان قوله تعالى: ﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون﴾..... ٢٩
المطلب الثاني: بيان قوله تعالى: ﴿كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله﴾ ..... ٣٢
المطلب الثالث: بيان قوله تعالى: ﴿لا نفرّق بين أحد من رسله﴾ ..... ٣٤

المطلب الرابع: بيان قوله تعالى ﴿وقالوا سمعنا وأطعنا﴾ ..... ٣٧
المطلب الخامس: بيان قوله تعالى ﴿غفرانك ربنا وإليك المصير﴾ ..... ٤٠
• معنى (غفرانك) وصيغتها: ..... ٤٠
• في وجه ختم الآية بقولهم ﴿وإليك المصير﴾: ..... ٤٣
المبحث الرابع: بيان الآية الثانية ..... ٤٥
المطلب الأول: المناسبة لما قبلها ..... ٤٥
المطلب الثاني: بيان قوله تعالى: ﴿لا يكلف الله نفساً إلا وسعها﴾ ..... ٤٦
المطلب الثالث: بيان قوله تعالى ﴿لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت﴾ ..... ٤٩
المطلب الرابع: في بيان قوله تعالى: ﴿ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا﴾ ..... ٥٢
المطلب الخامس: بيان قوله تعالى: ﴿ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا﴾ ..... ٥٥
المطلب السادس: بيان قوله تعالى ﴿ربنا ولا تحمّلنا ما لا طاقة لنا به﴾ ..... ٥٧
المطلب السابع: بيان قوله تعالى: ﴿واعف عنا واغفر لنا وارحمنا﴾ ..... ٥٨
المطلب الثامن: بيان ختام الآية بقوله تعالى ﴿أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين﴾ ..... ٦٠
الخاتمـــة ..... ٦٣
فهرس المراجع ..... ٦٥
فهرس المحتويات ..... ٦٩